نشأة المسرح العربي في مصر

The Emergence of Arabic Theatre in Egypt

سيد علي إسماعيل*

sayedismaiel62@gmail.com

الملخص:

هدفي من هذا البحث، الوقوف على " نشأة المسرح العربي في مصر"!! ولا أقصد من وراء ذلك تكرار ما كتبته – طوال أكثر من عشرين سنة – أو تكرار ما هو معروف ومستهلك؛ بل أقصد إعلان الجديد والمكتشف حول هذا الأمر أمام الباحثين في مصر والعالم، ليعيدوا قراءة تاريخ المسرح العربي في مصر؛ وفقاً لنتائج هذا البحث؛ لأنها نتائج ستضيف جديداً مجهولاً لما هو معروف ومعلوم. وفي الوقت نفسه، ستغير ثوابت مستقرة في الأذهان، منذ مائة وخمسين سنة!!

والجدير بالذكر أن المقصود بالمسرح العربي؛ هو المسرح العربي الحديث الذي بدأ في مصر في عهد الخديوي إسماعيل؛ من خلال الوثائق المكتشفة حديثاً، والأخبار المسرحية المنشورة في الدوريات، أو من خلال النصوص المسرحية المنشورة باللغة العربية ترجمة وتأليفاً، أو من خلال

* أستاذ بكلية الآداب جامعة حلوان.

العروض المسرحية التي قُدمت باللغة العربية أو بالعامية المصرية. والهدف من وراء ذلك:

1 – الوقوف على المحاولات الأولى لما نُشر باللغة العربية حول المسرح في مصر.

2 – التعرف على بواكير النصوص المسرحية المنشورة عربياً – ترجمة وتأليفاً – في مصر.

3 – اكتشاف بداية العروض المسرحية التي عُرضت باللغة العربية أو العامية في مصر.

4 – توثيق مشروع الحكومة المصرية لإنشاء المسرح العربي.

5 – توثيق محاولات إنشاء المسرح العربي في مصر.

6 – حقيقة الخواجة مستر جيمس الإنجليزي، ونشاطه المسرحي في مصر.

7 – تحديد رائد المسرح العربي في مصر!

الكلمات المفتاحية: نشأة؛ المسرح العربي؛ مصر.

Abstract:

My goal in this research is to identify the "emergence of Arabic theater in Egypt"!! I do not mean to repeat what I have written – for more than twenty years – or to repeat what is known and consumed, but I mean to announce the new and discovered about this matter to researchers in Egypt and the world and to re-read the history of Arabic theater in Egypt, according to the results of this research that will add an

untrodden dimension to what is known about this topic. At the same time, it will shake constants that have been stable for one hundred and fifty years!!

It is worth mentioning that what is meant by Arabic theater is the modern Arabic theater that began in Egypt during the reign of Khedive Ismail, through newly discovered documents, theatrical news published in periodicals, or through theatrical texts published in Arabic in translation and composition, or through theatrical performances presented in Arabic or in Egyptian colloquial language. The aim is behind this is to:

1 – Identify the first attempts of what was published in Arabic about theater in Egypt.

2 – Identify the beginnings of theatrical texts published in Arabic - translation and composition - in Egypt.

3 – Discover the beginning of theatrical performances that were presented in Arabic or colloquial language in Egypt.

4 – Document the Egyptian government's project to establish the Arabic theater.

5 – Document attempts to establish Arabic theater in Egypt.

6 – Present the truth of the English Mr. James, and his theatrical activity in Egypt.

7 – Identify the pioneer of Arabic theater in Egypt!

Keywords: The Emergence, Arabic Theatre, Egypt.

الكتابات العربية حول المسرح

أول مسرح افتتح في عهد الخديو إسماعيل، كان مسرح زيزينيا بالإسكندرية في ديسمبر 1864؛ وكان مختصاً بعروض الفرق الأجنبية [1]، ولم يُكتب عنه – في وقتها – أو عن عروضه باللغة العربية – حسب ما بين يدي من معلومات – حيث لا توجد أية صحيفة مصرية باللغة العربية، سوى جريدة "الوقائع المصرية"، التي لم تكتب عنه – حسب علمي – لأنه مسرح خاص بالجاليات الأجنبية في الإسكندرية [2].

هذا الأمر اختلف مع افتتاح أماكن الترفيه الحكومية في المنطقة الإسماعيلية – نسبة إلى الخديو إسماعيل باشا، وهي منطقة الأوبرا والعتبة والأزبكية حالياً – وهذه الأماكن، هي: مسرح الكوميدي الفرنسي الذي افتتح عام 1868 – ومكانه الآن مبنى البريد بالعتبة – ودار الأوبرا الخديوية وافتتحت عام 1869 – ومكانها الآن كراج للسيارات – والسيرك وافتتح عام 1869 – وكان يقع خلف الأوبرا – والأبيودروم أو مضمار سباق الخيل وافتتح عام 1871 – ومكانه حالياً ميدان مصطفى كامل بوسط البلد – وأخيراً قاعات وأكشاك ومسرح حديقة الأزبكية، التي افتتحت على مراحل من عام 1868 إلى 1873، ولم يبق منها سوى مسرح حديقة الأزبكية، ومكانه الآن المسرح القومي بالعتبة [3].

هذه الأماكن، كانت تُقدم فنوناً أجنبية، وباللغات الأجنبية! ويشاء القدر أن يتبنى – في هذه الفترة – إسماعيل صديق باشا المفتش وزير المالية، مشروع

التمصير والتعريب في مصر، ونجح في إقناع الخديوي إسماعيل بإصدار قرار في 9 يناير 1870 " بأن جميع المكاتبات، التي تتداول من الآن فصاعداً، بكافة الدواوين والمصالح الميرية، التي بداخل جهات الحكومة، تكون باللغة العربية"(4).

اهتمام صديق باشا، والخديو إسماعيل باللغة العربية – من خلال التمصير والتعريب – جعل مجلة "وادي النيل"؛ بوصفها أول مجلة أدبية تصدر في مصر باللغة العربية، تهتم بالإعلان عن أماكن الترفيه الأجنبية، ومتابعة أنشطتها المتنوعة، وتكتب عنها باللغة العربية، لا سيما العروض المسرحية؛ حيث إن صاحب المجلة ومحررها أبو السعود أفندي – مُعرّب أوبرا عايدة – وابنه محمد أنسي – الاسم مركب – مديرها ومحرر موضوعاتها الفنية والمسرحية!!

ومن يطلع على أعداد هذه المجلة – في هذه الفترة – سيجد اهتمامها الكبير بنشر إعلانات الأنشطة الفنية الأجنبية باللغة العربية؛ لأنها موجهة إلى المصريين والعرب تشجيعاً لهم لرؤية هذه الأعمال الأجنبية، التي تساعد على تمدن الشعوب! ومن أمثلة هذه الإعلانات، إعلان عن عرض بانتومايم، نشرته المجلة عام 1869، جاء فيه الآتي: " إعلان من ملعب البهلوان الخيالي الفرنساوي الكائن بالأزبكية تحت إدارة الخواجة رنسي ..... من جملة الألعاب الغريبة التي ما جرى لعبها لغاية الآن، اللعب المسمى بما معناه (قفص الجسم

البشري الرقاص المضحك)، وهو كناية عن ملعب تياترو، يجري بالإشارات لا بالتكلم" (5).

هذه الإعلانات، شجعت المصريين على الحضور والمشاهدة، وسجل محمد أنسي هذا الحدث في مقالة منشورة باللغة العربية – وموقعة باسمه في مجلة وادي النيل في فبراير 1870 – حول عرض مسرحية (سميراميس)، الذي عُرض في الأوبرا الخديوية. والمقالة كبيرة الحجم، بها كافة تفاصيل العرض، ولكننا سنقتبس منها الفقرة التالية – لأن الكاتب فيها، حث المصريين على الاهتمام بالمسرح العربي، أو بالتعريب والتمصير وفقاً لاهتمام إسماعيل صديق باشا المفتش. هذا بالإضافة إلى وجود إرهاص لمشروع إنشاء مسرح عربي في مصر، سوف يتقدم به محمد أنسي مستقبلاً – وفيها يقول:

"... وحضرها جم غفير، وقوم كثير من التجار الأوروباويين، والأهالي المصريين، ولا سيما من حضرات الباشوات، والبكوات، وغيرهم من غواة التياترات. وبذلك عُلم أن ذوقية الملاعب التياترية، قد أخذت في الانتشار بالديار المصرية في هذه الحقبة العصرية. وهي بدعة حسنة، وطريقة للتربية العمومية مستحسنة. من حيث ما يترتب عليها من تفتيق الأذهان، وتصوير أحوال الإنسان للعيان. حتى تكتسب فضائلها، وتجتنب رذائلها. إلى غير ذلك من الفوائد الجميلة، والعوائد الجليلة. **ويا ليته يحصل التوفيق، لتعريب مثل هذه التأليفات الأدبية، وابتداع اللعب بها في التياترات المصرية باللغة العربية. حتى**

ينتشر ذوقها في الطوائف الأهلية، فإنها من جملة المواد الأهلية، التي أعانت على تمدين البلاد الأوروبية، وساعدت على تحسين أحوالهم المحلية" [6].

وهذه الفقرة تعكس أموراً كثيرة، منها أن الجمهور المصري، بدأ يتعلق بالمسرح حتى ولو في عروضه الأجنبية؛ لأنه تعرف على أهمية المسرح، التي ستجعله يكتسب الإيجابيات، ويتجنب السلبيات! لذلك أفصح محمد أنسي عن هدفه الرئيسي، وهو دفع المصريين إلى ترجمة المسرحيات – الأجنبية الممثلة في المسارح المصرية – إلى اللغة العربية، حتى ينتشر المسرح باللغة العربية بين المصريين، وتبدأ مصر طريقها الصحيح في عرض المسرحيات باللغة العربية؛ بوصفها أحد مظاهر المدنية، التي تتناسب – مع مشروع إسماعيل صديق باشا المفتش في التعريب والتمصير – ومع عهد الخديو إسماعيل؛ بوصفه عهد التمدن والتطوير والتحديث!!

لم يكتفِ محمد أنسي بما كتبه – وسيكتبه حول هذا الأمر – فقام بترجمة مقالة لناقد أجنبي اسمه "بيريت"، كتبها حول عرض "فوست"، الذي عُرض في الأوبرا الخديوية عام 1870، ونشر محمد أنسي هذه الترجمة في مجلة "وادي النيل"؛ وقدمها بكلمة، قال فيها: " كتب إلينا بقلم بعض الأفاضل الأوروبيين، مع رجاء إدراجه بصحيفة وادي النيل، تفتيقاً للإفهام وتشويقاً للخاص والعام، فيما يتعلق بمادة التياترات، ونشراً لهذا النوع من المعلومات" [7]. والمقالة كبيرة جداً، سنقتبس منها هذه الأجزاء، التي تعضد فكرة محمد أنسي، وفيها يقول بيريت:

"... التياترو من الاختراع والابتداع، لما فيه الحصول على اجتماع لذة القلب والروح، وسائر الحواس الخارجية. وعلى الخصوص في نوع اللعب المسمى بالأوبيرة؛ حيث هو عبارة عن تصوير بعض الحوادث التاريخية، والوقايع الزمنية، مع تخلله بالألحان الموسيقية. فهو يجمع بهذه الطريقة التفننية، بين لذات الحواس الظاهرية والباطنية ..... إن الإنسان إذا تفرّج على نوع ملاعب التياترو، المسمى بالأوبيرة؛ فإنه لا بد وأن يكتسب منه لذة للحواس، واعتبار النفس. وإن كان الباعث على التوجه إليه، والداعى للتردد عليه غالباً، هو مجرد الرغبة في الحظ لا غير ..... ولنشكر من الآن حضرة الخديوي الأفخم، وطقم وزرائه المكرم؛ حيث كانوا هم السبب الأعظم في أن أحدثوا لنا هذه الحادثة الجميلة، والبدعة الحسنة المقبولة، التي نجد فيها من اللذات، ما يُعين على علو النفس إلى أرفع الدرجات، ويمن الروح بألذ المؤنات، وسنجد كلنا فيما بعد من تأثيرها العام أجمل الثمرات" (8).

ظل محمد أنسي – من خلال النشر في مجلة "وادي النيل" – ينادي بضرورة عرض المسرحيات باللغة العربية في مصر. ففي نهاية موسم التمثيل بالأوبرا لعام 1870، قال: " قد كانت ليلة الجمعة الماضية آخر ليلة، لعب فيها في ملعب التياترو بمصر القاهرة، اللعبة المشهورة باسم (الملكة كرينولين). وبها اختتام موسم التياترو في هذا العام. وعسى أن يسعى من عام قابل في الاستعداد، **لإجراء هذه التصويرات اللعبية باللغة العربية**، حتى يطّلع على هذه

البدعة الأدبية الجديدة، ويتمتع بهذه المتعة العصرية المفيدة من سائر أهل مصرنا، الخواص والعوام، وعلى الله حسن الختام" [9].

وفي نوفمبر 1870، نشر محمد أنسي مقالة – في جزأين [10] – عن مسرحية مدرسية، مثلها الطلاب داخل مدرسة العمليات المصرية – أي مدرسة الصنائع والفنون أو المهندسخانة – والمسرحية عنوانها "أدونيس" أو " الشاب العاقل المجتهد فى تحصيل العلم الكامل"، ألفها مدرس اللغة الفرنسية لويس فاروجيه في ثلاثة فصول، وتم تمثيلها في صحن المدرسة باللغة الفرنسية، من أجل تمرين التلامذة على مكارم الأخلاق بالعمل، وتصوير الفضائل لقصد اكتسابها، والرذائل لقصد اجتنابها. وقد أسهب محمد أنسي في شرح أدق تفاصيل المسرحية، فروى قصتها، والغرض منها، في عدة صفحات، واختتم هذا بقوله: "وتخلل هذه الحكايات، عبارات لطيفة، وأقوال وأفعال مضحكة ظريفة، على لسان كل واحد من اللاعبين، على حسب ما نيط إليه من الوظيفة، يرجع معناها إلى عبرة صحيحة، أو حكمة معتبرة. مع تصوير اللعب في أول فصل بحانوت حلاق، وفي الثاني بحجرة من خان، وفي الثالث بمحل مرسوم بالأشجار من بستان" [11]. وفي نهاية المقال، نشر الكاتب أسماء الطلاب الممثلين، وهم: محمد فهيم أفندي، ومحمد رشاد أفندي، وأحمد شوقي، وأحمد عبد الوهاب أنسي أفندي، ونيازى أفندي، ونديم أفندي، ومحمد وهبي أفندي، ومحمد فاضل أفندي، وشاكر أفندي. وهذه الأسماء – تاريخياً – تُعد أول أسماء منشورة لطلاب مصريين مثلوا عرضاً مسرحياً!!

وهكذا سارت مجلة "وادي النيل" في نشر الموضوعات المسرحية، والإعلان عنها. وآخر ما نشره محمد أنسي – يوم 1871/1/13 – مقالة حول العرض الأوبرالي "براهما"، الذي عرض في الأوبرا الخديوية، مع الإشارة إلى مقالة سابقة كتبها عن مسرحية "قضاء باريس"، معلقاً على أحداث هذين العرضين، بقوله: " .. ليقف على بعض معناه المترددون على التياترات المصرية من أبناء العرب" (12).

نصوص مسرحية منشورة باللغة العربية

إذا كان محمد أنسي، أسهم بقلمه في إلفات نظر قراء مجلة "وادي النيل" من المصريين والعرب إلى أهمية المسرح، وضرورة وجود نصوص له باللغة العربية في مصر، وتمثيله على خشبة المسرح باللغة العربية؛ فهناك من أسهموا بدورهم في هذا الشأن أيضاً. ومن الواضح أن الاهتمام باللغة العربية في مجال المسرح، لم يكن – فقط – نتيجة قرار الخديو إسماعيل في 9 يناير 1870 بجعل اللغة العربية، اللغة الرسمية؛ لأن هذا القرار كان أحد الأسباب؛ حيث إننا اكتشفنا أن الخديو، أعطى أوامره بترجمة وتعريب بعض النصوص المسرحية والأوبرالية التي عُرضت على مسرح الكوميدي الفرنسي، والتي سوف تُعرض في المواسم الأولى للأوبرا الخديوية قبل افتتاحها رسمياً!!

والوثيقة الدالة على ذلك، تُعدّ كشفاً في هذا المجال؛ لأنها مؤرخة في 1869/10/21 – أي بعد افتتاح مسرح الكوميدي الفرنسي بحوالي سنة، وقبل افتتاح الأوبرا بأيام قليلة – وهي عبارة عن أمر أصدره الخديو إسماعيل لمدير

مطبعة بولاق حسين حسني باشا، بخصوص " ثمن ألف وخمسمائة كتاب فصل التياترو تقدم طبعهم تركي وعربي ..... وبما أن تلك الكتب باقي منها جانب بعد الذي صار تفريقه، فالباقي المذكور مرسول إلى الخاصة لإبقائه" [13]. مما يعني أن المطبعة الحكومية – بأمر من الخديو – طبعت ونشرت 1500 نسخة لفصل التياترو باللغتين العربية والتركية. أي ألف وخمسمائة نسخة من ترجمة النصوص المسرحية والأوبرالية، التي عُرضت وستُعرض على مسرح الكوميدي الفرنسي، وأيضاً التي ستعرض على مسرح الأوبرا الخديوية!! كما أن الوثيقة، تثبت أن هذه النسخ ليست للبيع، بل كانت توزع – وستوزع – على الجمهور المصري والعربي، الذي شاهد وسيشاهد هذه العروض المسرحية الأجنبية، بحيث يطلع باللغة العربية على ما يُمثل أمامه باللغات الأجنبية!!

والدليل على حقيقة هذه الوثيقة، وتفسيري لها؛ أن أول نص منشور ومُترجم إلى اللغة العربية في مصر، تم نشره في مطبعة بولاق بتاريخ 1868/12/31، وكان النص ترجمة من الفرنسية لأوبرا "**هيلين الجميلة** La Belle Hélène"، والمُترجم هو الشيخ رفاعة الطهطاوي [14]. أما الكتاب المسرحي الثاني، الذي نُشر باللغة العربية في لبنان عام 1869، وجاء إلى مصر في العام نفسه، هو كتاب "أرزة لبنان"، الذي يشتمل على مسرحيات مارون النقاش الثلاث: البخيل، وأبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد، والحسود السليط!! وهذا الكتاب، كان يُباع في مكتبة حبيب غرزوزي بفرعيها في القاهرة والإسكندرية [15].

هذا بالإضافة إلى قيام أبو السعود أفندي بكتابة مقالة – في مجلته "وادي النيل" في نوفمبر 1870، تحت عنوان "بدعة أدبية وقطعة تعريبية، أو إدخال أسلوب جديد من التأليف في اللغة العربية" – حول كتابين صغيرين مترجمين باللغة العربية لمسرحيتين إيطاليتين، قام بترجمتهما ونشرهما إبراهيم المويلحي في مطبعته. وهاتان المسرحيتان، أرسلهما "مأمور الضبطية" مرفقتين بخطاب إلى أبي السعود أفندي للكتابة عنهما في مجلته [16].

وإذا أردنا معرفة ما جاء في خطاب مأمور الضبطية – متجنبين مؤقتاً تعجبنا من اهتمامه بهاتين الترجمتين والكتابة عنهما في المجلة – سنجده يقول في خطابه: "إن حضرة العمدة الفاضل إبراهيم المويلحي، قد كان سبباً قوياً لإطلاع أبناء وطنه، بواسطة صرف ماله وأفكاره في ترجمة وطبع ألعاب التياترات، وما ذاك إلا لغرض نشرها مجاناً من قبله، على كل من لا يدري في اللغات الأجنبية من أبناء وطنه. فمن ذلك قد استحق أن يُذكر بجرنال وادي النيل، حيث لكل مجتهد نصيب. ولا شيء أفخر ممن تكون أفعاله في تقدم أبناء جنسه. وبناءً عليه لزم تحريره، بأمل درجه بالجرنال المذكور، بحسب ما يستحق، حتى لا يضيع أجر عمله".

أما أبو السعود أفندي، فكان عمله – في هذه المقالة – اطلاع القُراء على تفاصيل هاتين الترجمتين، وبدأ عمله بمفاجأة، عندما أبان أن الكتابين المنشورين ليس عليهما اسم مترجمهما!! أما اسم إبراهيم المويلحي، فكان مطبوعاً على الكتابين؛ بوصفه صاحب المطبعة التي نشرتهما!! لذلك قال: "والظاهر أن

الذي ترجمهما، هو حضرة أخينا الفاضل محمد عثمان أفندي المترجم الآن بديوان الجهادية". وبغض الطرف عن اسم المترجم – سواء كان إبراهيم المويلحي أو محمد عثمان جلال – فالذي يهمنا؛ حقيقة وجود كتابين مترجمين باللغة العربية ومنشورين في مصر عام 1870 عن عرضين، تم عرضهما في الأوبرا الخديوية!!

أما تفاصيل هذين الكتابين – كما وصفهما أبو السعود في مقالته – فالكتاب الأول، عنوانه المكتوب على ظهره: " ترجمة ألعاب أول ليلة من ألعاب تياترو الأوبيره وهي ليلة الثلاثاء الموافقة غرة نوفمبر سنة 1870"، مما يعني أن الغلاف الأمامي، والذي به عنوان المسرحية منزوع؛ لأننا وجدناه يتحدث عما هو منشور في الصفحة الثانية على سبيل المقدمة؛ دون أي ذكر للصفحة الأولى أو غلاف الكتاب الأمامي – ولكن بعد شهرين أشار أبو السعود إلى عنوانها، وهو باليه "لابادوسيت" (17) – وفي المقدمة، وجدنا المترجم يتحدث عن أمور كثيرة، يهمنا منها هذه العبارة الدالة على اهتمام المصريين بوجود المسرح باللغة العربية في مصر، وفيها يقول:

".... وهذه الأحوال لم تكن عندنا، بل نظرناها عند غيرنا من الأوروباويين، الذين اتخذوا التياترات، وجعلوها سبباً قوياً لتمدن بلادهم. فإن التمدن عبارة عن تربية النفس وتهذيبها، باتباع ما يُستحسن من الأخلاق، ولا يتم لها ذلك إلا باطلاعها على أخبار الأولين، وسير الأمم المتقدّمين. وحيث إنها وُجدت في بلادنا، وكثر الراغبون لها، ولم يمنع البعض من الوصول إليها إلا

باللغات الأوروباوية. وأن بعض المتفرجين، يتخذون مترجمين. والترجمة الشفاهية في الواقعة الحالية، لا تؤدي جل المقصود؛ عزمنا على نقلها بلغتنا حرفاً بحرف، كي يكون الناظر على بصيرة مما يراه".

أما الكتاب الآخر، فذكر أبو السعود عنوانه، وهو "مزين شاويله"، والمقصود "مزين إشبيلية" – كما أوضح في المقالة، أو "حلاق إشبيلية" كما هو معروف الآن – وهو العرض الذي مُثل في الأوبرا الخديوية يوم 10 نوفمبر 1870. واختتم أبو السعود مقالته، قائلاً: " .. وعلى كل حال، **فظهور هاتين القطعتين في الملابس العربية، هو حادثة أدبية لا بأس بها، وإدخال أسلوب من التأليف جديد في اللغات المشرقية، وأساس قد يُبنى عليه، ويؤتي فيما بعد، بما هو أصح منه**".

ومن وجهة نظري، أقول: إن مترجم هاتين القطعتين هو محمد عثمان جلال بالفعل؛ لأنه في هذه الفترة، ترجم مسرحية "الفخ المنصوب للحكيم المغصوب"؛ ضمن مجموعة مسرحيات ترجمها، وجمعها في كتاب بعنوان "كتاب النكات وباب التياترات". وبدأ بالفعل في نشر هذا الكتاب، على حلقات في مجلة "روضة المدارس المصرية"! وتم نشر ثلاث حلقات في ثلاثة أعداد من المجلة، من مايو إلى يوليو 1871، وللأسف لم يستمر النشر! ومع ذلك فالحلقات الثلاث المنشورة، تُعدّ دليلاً على وجود مسرحية ترجمها محمد عثمان جلال، والتي تُعدّ دليلاً على أن محمد عثمان جلال له كتاب كامل – يشتمل على

مجموعة مسرحيات مترجمة بالعربية – عنوانه "كتاب النكات وباب التياترات" (18).

استمر أبو السعود أفندي في السير بهذا الاتجاه؛ حيث وجدناه بعد أقل من شهرين، يكتب مقالة في مجلته "وادي النيل"، تحت عنوان " في نوع اللعب النفيس المسمى بقضاء باريس". وفيها تحدث عن اجتهاد الحكومة في انتشار التياترات في الأزبكية؛ بوصفها من الاختراعات الحديثة المفيدة؛ وذلك تمهيداً لغرضه الأساسي، الذي أفصح عنه قائلاً: "... هذه الابتداعات الجديدة، والاختراعات المفيدة، كالتياترات وما أشبهها من أنواع المحدثات. وجدنا ثمة إحداث أسلوب جديد في عداد الأساليب الأدبية. وشاهدنا إيجاد حُسن ترتيب مفيد في جملة الأخلاق العربية. وإن كان اللعب فيها هو باللغات الأجنبية. غير أنه لا يتأخر أن يسري ذوق هذه الحادثة التمدنية والانتقالة التحسينية إلى عروق الطوائف الأهلية. وتعلق بأذهان الغواة المحلية. **وبعد أن يكون اللعب بها والتأليف فيها باللغات الأوروبية، تتجدد في اللغة العربية، ويوجد من ينتدب لها، وينتخب لإتقانها بين أبناء هذه الجهات الوطنية، وتعم مزيتها، وتتم فضيلتها لسائر البلاد المشرقية**" (19).

وهذا الكلام، يُعدّ تطوراً في التفكير نحو إنشاء المسرح العربي في مصر!! فالكاتب هنا، تجاوز فكرة ترجمة نصوص العروض الأجنبية إلى اللغة العربية!! وتجاوز أيضاً فكرة دخول المصريين والعرب لمشاهدة العروض الأجنبية ومعهم نسخ مترجمة بالعربية للعروض الأجنبية، التي سيشاهدونها داخل

المسارح!! إنه هنا يُلمح إلى اختيار شخص يقود الهواة والمهتمين بالمسرح من المصريين من أجل إنشاء مسرح عربي في مصر، سواء كان هذا الإنشاء من خلال ترجمة نصوص العروض الأجنبية إلى اللغة العربية، أو بتكوين فرقة مسرحية تعرض المسرحيات باللغة العربية!! المهم – في نظر أبي السعود – هو الوصول إلى تحديد هذا الشخص، الذي سيتحمل مسئولية إنشاء المسرح العربي في مصر!!

هذا الشخص، أشار إليه أبو السعود في مقالته – تلميحاً لا تصريحاً – قائلاً: "... وها هو قد شرع في نشر هذه البدعة الجليلة، بترجمة اللعبة المسماة باسم هيلينة الجميلة. وانتشرت من العام الماضي في أفق الأدبيات، وظهرت في أجمل حلل الحسان العربيات. اعتنى بتعريبها بأمر الحضرة الخديوية، وتقريبها لإفهام غواة تلك التصويرات اللعبية، الأديب الشهير والأستاذ الكبير حضرة رفاعة بك أفندي [رفاعة رافع الطهطاوي]، أستاذ كل من له في الديار المصرية معرفة بالعربية واللغات الأجنبية، وتلاها تراجم عدة قطع تياترية" [20].

وترجع أهمية هذا الكلام إلى مكانة أبي السعود وعلاقته بالخديو إسماعيل وبالشيخ رفاعة؛ لأن أبا السعود كان رئيساً لقلم الترجمة في مصر في عهد الخديو إسماعيل، وهو في الأصل أحد التلاميذ الأوائل المباشرين للطهطاوي، الذين تخرجوا على يديه في مدرسة الألسن [21]!! وهذا يعني إنه يعلم جيداً أن الطهطاوي ترجم "هيلين الجميلية" بأمر من الخديو إسماعيل، وإنها لم تكن القطعة التياترية الوحيدة التي ترجمها الطهطاوي في هذه الفترة – كما

نظن – بل هناك عدة قطع تياترية، قام بترجمتها – وربما نشرها – لم نكتشفها حتى الآن!!

شاء القدر أن يكون في مصر، في هذه الفترة، ويشاهد عروض مسارحها، ويلمس بنفسه مظاهر الاهتمام بترجمتها وتعريبها أحمد فارس الشدياق! صاحب جريدة "الجوائب"، التي تصدر باللغة العربية في الأستانة؛ حيث كتب مقالة كبيرة – نشرها بعد عدة أشهر في الجوائب، أبريل 1871 – سجل فيها ما شاهده ولمسه؛ ليؤكد لجميع الممالك العثمانية – التي تُوزع فيها الجوائب وقتذاك – أن مصر وصلت إلى مرحلة متقدمة من التمدن!! ولعل في هذا الاقتباس – من المقالة – ما يؤكد ذلك!!

قال الشدياق: ".. إن مصر كما تقدمت في الصنائع والتجارة والطبع والعلوم والفنون، كذلك تقدمت في الملاهي والمطربات. وقد حضرت مرة في الملهى الطلياني [يقصد الأوبرا]، وشاهدت فيه تمثيلية بهرام معبود الهنود. وحضرها كثير من الوجوه والأعيان المصريين ..... ويوجد فيه، وفي الملهى الفرنساوي [يقصد مسرح الكوميدي الفرنسي] حُجر [أي بنوارات] مخصوصة للذوات الكرام. فترى كلاً منهم **جالساً وبيده كتاب بالعربي، ترجمة هذه التمثيلات**. وقد رأيت عبداً أسود بعمامة بيضاء وفي يده **ترجمة دون جوان**. وكنت تلك الليلة في حجرة مدير الملهى، فقال لي: لا شيء يسرني أكثر من أن أرى أهل مصر مرتاحين لهذه الملاهي، لأنهم لما دخلوا في أبواب التمدن من جميع وجوهه، كان ما يجري في الملاهي متمماً له. بل رأيت أيضاً عدة خواتين

[نساء]؛ ولكن كن مغطيات الوجوه، ولهن حُجر مخصوصات بهن، محاطة بشباك مذهب" (22).

وهذا الكلام يؤكد كل ما ذكره سابقاً أبو السعود وابنه محمد أنسي في مجلتهما "وادي النيل"!! ولكن الجديد – الذي لم نسمع به، ولم نتوقعه – هو حضور النساء المصريات أو العربيات المحجبات، لهذه العروض المسرحية الأجنبية في الأوبرا وفي مسرح الكوميدي الفرنسي، حتى ولو كان حضورهن في بنوارات مغطاة أو محاطة بشبابيك معدنية!!

مشروع الحكومة المصرية

إذا أردنا أن نلخص كل ما سبق، سنقول: إن الخديو إسماعيل وحكومته – وبالأخص وزير ماليته إسماعيل صديق باشا المفتش – قرروا الاهتمام باللغة العربية، لتواكب تطور مصر الحديثة ومدنيتها؛ لا سيما في مجال المسرح. ونتج عن ذلك توجه عام عند المعنين بالأمر، فقام رفاعة الطهطاوي بترجمة أول نص باللغة العربية للعبة التياترية "هيلين الجميلة"، مع لعبات تياترية أخرى. وقام حبيب غرزوزي بإحضار مسرحيات مارون النقاش المنشورة بالعربية من لبنان، وهي "البخيل، وأبو الحسن المغفل أو هارون الرشيد، والحسود السليط"، وبيعها في مكتبتيه بالقاهرة والإسكندرية. وقام محمد عثمان جلال بترجمة لعبتي "مزين شاويلة، ولابادوسيت"، وربما أيضاً لعبة "دون جوان"؛ كما ترجم ونشر أجزاء من مسرحية "الفخ المنصوب للحكيم المغصوب"، مع مسرحيات أخرى تضمنها كتابه "كتاب النكات وباب التياترات". وقام المصريون والعرب بمشاهدة العروض

الأجنبية، التي عُرضت في مسرحي الكوميدي الفرنسي والأوبرا الخديوية، وكانت النساء المصريات والعربيات المحجبات، تشاهدن هذه العروض من بناوير بها شبابيك داخل المسارح. وقام أبو السعود أفندي – مترجم أوبرا عايدة – وابنه محمد أنسي بنشر إعلانات وأخبار ومقالات العروض الأجنبية في مصر باللغة العربية في مجلتهما "وداي النيل". وقام كذلك أحمد فارس الشدياق بنشر مشاهداته للعروض الأجنبية في مصر باللغة العربية في جريدته "الجوائب". وكان الهدف من وراء هذا الحراك أو التمهيد، إنشاء المسرح العربي في مصر، أملاً في تكوين فرقة مسرحية مصرية تعرض مسرحياتها باللغة العربية!! والدليل على ذلك وجود تقرير رسمي، قدمه العميل (زد Z)، إلى السيد (ناردي Nardi) مفتش بوليس القاهرة، في 27 يناير 1871 [23]، هذا نصه:

" إلي السيد ناردي، مفتش البوليس بالقاهرة من العميل "z": أبدى سكان القاهرة، رغبة شديدة في أن يكون لديهم مسرح، يتناسب مع لغتهم وعاداتهم وكلامهم الرقيق. كان العديد من الشبان، قد اجتمعوا بالفعل العام الماضي لعرض مسرحية "الإسكندر في الهند"، التي كانت قد تُرجمت إلى اللغة العربية. إذ أخفقوا في مشروعهم هذا؛ لأنهم كانوا يفتقرون إلى السمات الفكرية، والتدريبات المطلوبة. ولأنهم لم يكن لديهم أي معرفة بفن المسرح، ولا أي شخص خبير بالموضوعات، التي يمكن أن تساعدهم. لقد نُشرت عدة نسخ مطبوعة من مسرحيات عربية لمؤلف سوري، وعُرضت هذه المسرحيات في بيروت ولاقت نجاحاً، مما شجع سكان القاهرة في أن يكون لديهم مسرح، وأن يكونوا أكثر

فعالية، لا سيما بعد انعقاد مؤتمر المسارح العربية، خلال العام الماضي بفندق الشرق. كانت عائلة قطاوي، وهي من المصرفيين الأثرياء بهذه المدينة، قد ساهمت في تقديم بعض عروض الكوميديا الفرنسية. وقد داومت بطيب خاطر على هذه التسلية، مع تقديم بعض المسرحيات العربية إن لم يوقفها إلا حداد عائلي. وقد رحب الجمهور بنشر مسرحية "دون جوان" "والمهد" و"حلاق إشبيلية". أيضا وجد محرر جريدة عربية، تعاطفاً من قرائه؛ لأنه أدخل في أعمدة جريدته بعض المقاطع من باليه "حِكم باريد والبراهما"؛ ولأنه لفت انتباه الجمهور إلى المنافع الأدبية للمسرح. إن سكان القاهرة، هم بالأحرى مؤيدين لهذا الحدث، عندما يعتبرون أن مشاعرهم الدينية لن تُهان عند رؤية نساء مسيحيات ويهوديات، يصعدن خشبة المسرح. إن إدخال المسارح الأوروبية في هذا البلد، ساهم جزئياً في تحقيق التقدم، الذي ضمن للأجانب، وكذلك النساء اللاتي لا يرتدن الحجاب ويلبسن على الطريقة الأوروبية، الاحترام الذي يستحقونه. يعلم السكان أن المسرح، يعكس العادات والتقاليد. وأن الأحكام المسبقة، التي لم يعد لوجودها مبرر في هذه الظروف، ستكون سخيفة. من المعروف بالفعل أنه في سوريا، قد يكون من السهل جداً، العثور على فنانين، أثبتوا بالفعل مقدرتهم. وسيكونوا بالتأكيد أقل تكلفة عن فناني المسرح الفرنسي. إن شائعة أن هؤلاء سرعان ما يتم الاستغناء عنهم، هي إذاً أمل، يبشرنا بقرب إنشاء المسرح المحلي. ومما لا شك فيه، أنه للوهلة الأولي، سيواجه هذا المشروع صعوبات كبيرة، فالكُتّاب غير موجودين بعد. وسيكون من الصعب جداً، تدريبهم على هذا النوع الجديد من التأليف؛ لأنه لا يقدم لمهنتهم الأدبية، تعويضاً مناسباً؛ ولكن

يقدم قانوناً، يضمن الملكية الأدبية، وسيكون من السهل اتخاذ القانون الإيطالي، الذي سيرسخ حق المؤلفين. وفي نفس الوقت، سيعفي الحكومة المصرية من النفقات الكبيرة، عندما تتخذ قراراً بأن تخوض بنفسها التجربة الأولي للمسرح العربي. تَعود سكان مصر على اتباع خطى الحكومة، وعندما ستكون قد خاضت التجربة الأولي للمسرح، سيكون من السهل مع أموال الجمعية الوطنية، إنشاء مسرح وطني، وربما أيضا إنشاء مدرسة الميلودراما والموسيقي. لا شيء سيكون أكثر أخلاقي من إخراج السكان المحليين، بواسطة الإقناع، من هذه المقاهي، التي يغنون فيها مساءً، أغاني خليعة؛ حيث يكون فيها الغناء والموسيقي، تحت رحمة المتحذلقين، كما يُستبعد فيها الذوق السليم. لا شيء أكثر أخلاقي من صرف السكان المحليين عن رقصاتهم الخليعة. سيكون للمسرح غاية مزدوجة لمعالجة هذا الداء الاجتماعي، مع الارتقاء بالناس إلى الأخلاق، وإلى السلوك الجيد. وسيوقظ أيضاً الفضائل المدنية، التي تشرف الأمة. لا يمكن أيضاً إغفال مراعاة وجهة النظر السليمة لحكومة صاحب السمو الخديوي، عندما يسن قانوناً، بشأن الملكية الأدبية، مع عمل معاهدات بموجبه مع الدول الأجنبية. هذه لن تكون فقط منفعة لمصر، بل شرف لها. [توقيع] العميل (زد Z)" [24].

هذا التقرير – الذي يُعد مشروع الحكومة المصرية لإنشاء المسرح المصري – يجب النظر إليه بعناية شديدة؛ كونه تقريراً رسمياً مُقدماً إلى مفتش بوليس القاهرة. لذلك يجب علينا توضيح أهمية ما ورد فيه، من خلال النقاط التالية:

1 – إن إنشاء المسرح العربي في مصر، من أجل تكوين المسرح المصري، هو مشروع الحكومة المصرية، والذي تبناه إسماعيل صديق باشا المفتش وزير المالية، تحت رعاية الخديوي إسماعيل، وهو المشروع الذي بدأ عام 1868، وتبلورت خطواته في هذا التقرير.

2 – إن المصريين يرغبون في وجود مسرح يُمثل أمامهم باللغة العربية، وتدور موضوعاته حول عاداتهم وتقاليدهم.

3 – إن أول مسرحية تمّ تمثيلها باللغة العربية في مصر، كانت عام 1870، وهي مسرحية "الإسكندر في الهند"، والمترجمة من اللغة الإيطالية، من تأليف الإيطالي "بيترو ترباسي" الملقب بميتاستازيو.

4 – مسرحية "الإسكندر في الهند" لم ينجح عرضها في مصر؛ لأن من قام بتمثيلها مجموعة من الشبان، دون أية دراية أو خبرة لهم بالتمثيل، ولا يعرفون شيئاً عن المسرح، ولم يجدوا من يساعدهم أو يأخذ بأيديهم.

5 – أشار التقرير – دون أن يذكر الأسماء – إلى قيام حبيب غرزوزي ببيع كتاب "أرزة لبنان" في مصر، والذي اشتمل على مسرحيات مارون النقاش. وهي المسرحيات التي عُرضت في بيروت، ونُشرت باللغة العربية، ولاقت نجاحاً كبيراً. وهذا الأمر شجع سكان القاهرة على تقليد بيروت في أن يكون لهم مسرح عربي.

6 – مشروع الحكومة لإنشاء المسرح العربي في القاهرة؛ لاقى ترحيباً من أولي الأمر، الذين اجتمعوا في (اجتماع/ مؤتمر) المسارح العربية عام 1870

بفندق الشرق بالعتبة. وهو اجتماع، حضره – كما أُرجح – كل من: وزير المالية إسماعيل صديق باشا المفتش، وباولينو درانيت باشا مدير التياترات، والشيخ رفاعة الطهطاوي، ومحمد عثمان جلال؛ وإبراهيم المويلحي؛ بوصفهم أصحاب التراجم العربية الأولى للعبات التياترية. وأبو السعود أفندي، وابنه محمد أنسي؛ بوصفهما أصحاب مجلة "وادي النيل"، التي نشرت الصفحات الطويلة للحديث عن المسرح وعروضه وترجمة نصوصه إلى العربية. ولويس فاروجيه أستاذ اللغة الفرنسية بمدرسة العمليات. ويعقوب قطاوي، بوصفه أشهر شخصية في عائلة قطاوي وقتذاك، والتي قدمت الدعم لبعض العروض المسرحية العربية. وأخيراً الخواجة مستر جيمس الإنجليزي!! وهذه الأسماء، سبق وتحدثنا عن جهود بعضها، وهي الجهود التي تُعد قرينه لاحتمال حضورها، ولاحقاً سنأتي بقرائن أخرى لبقية الأسماء، والتي يُرجح حضورها هذا الاجتماع أيضاً.

7 – قامت عائلة قطاوي، بدعم ورعاية بعض العروض المسرحية العربية؛ والمُرجح أنها كانت تعرضها في قصور العائلة، أو في أماكن أخرى محدودة أو مغلقة، تابعة للعائلة. وهذه العروض توقفت بسبب وفاة أحد أفراد العائلة.

8 – أقبل الجمهور المصري على النصوص المترجمة والمنشورة باللغة العربية، والتي كانت تُوزع عليه أثناء مشاهداته للعروض الأجنبية، كما كان سعيداً

بقراءة ما تنشره مجلة "وادي النيل" عن المسرح وعروضه، لأنه تعرف على المسرح ومنافعه من خلالها.

9 – سكان القاهرة يؤيدون إنشاء المسرح العربي، من أجل ظهور المسرح المصري؛ شريطة الحفاظ على مشاعرهم الدينية بعدم قيام النساء بالتمثيل على خشبة المسرح!!

10 – وجود المسارح في مصر – مثل الكوميدي الفرنسي والأوبرا – أسهم في تقدم مصر ومدنيتها، وجعل المصريين ينظرون بعين التقدير والاحترام للممثلين والممثلات الأجانب، ويقتنعون بأن المسرح مفيد لترسيخ العادات والتقاليد، بعكس نظرتهم إليه سابقاً.

11 – لإنشاء المسرح العربي في مصر، يفضل الاعتماد على فنانين من بيروت، لمقدرتهم على ذلك، مع سهولة الاستغناء عنهم؛ لإنشاء المسرح (المصري/المحلي).

12 – مشروع إنشاء المسرح (المصري/المحلي)، ستواجهه مشكلة عدم وجود مؤلفين مسرحيين، ومن الصعب إيجادهم أو تدريبهم على التأليف المسرحي؛ لأن مهنة التأليف المسرحي غير مربحة، في ظل عدم وجود قانون يحمي الملكية الفكرية، إلا إذا طبقت الحكومة القانون الإيطالي في هذا الشأن؛ لأنه سيقلل نفقات الحكومة المصرية في حال تبنيها للتجربة الأولى للمسرح العربي.

13 – في حالة قيام الحكومة المصرية بالخطوة الأولى لإنشاء المسرح العربي، سيكون الطريق مُمهداً أمام أموال الجمعية الوطنية – أو جمعية تأسيس التياترات العربية – إنشاء المسرح الوطني (القومي)، وكذلك إنشاء مدرسة للتمثيل والموسيقى، وهو المشروع الذي سيقدمه بعد سنة محمد أنسي ولويس فاروجيه، مما يعني أن المشروع، كان معروفاً بصورة غير رسمية.

14 – إن إنشاء المسرح العربي في مصر، سيرتقي بأخلاق المصريين، وسيقوّم سلوكهم، وسيوقظ الفضائل في نفوسهم، وسيجعلهم يبتعدون عن سماع الأغاني الخليعة، ومشاهدة الرقص الخليع في المقاهي.

ومن خلال هذا التقرير، يتضح لنا أن مصر قررت بالفعل الشروع في إنشاء المسرح العربي، باعتماد مالي من الجمعية الوطنية – (جمعية تأسيس التياترات العربية) – مستعينة في ذلك بفرقة مسرحية تأتي من بيروت – أو يشكلها فنانون أصحاب خبرة من بيروت – والفرقة تُمثل باللغة العربية، بدون وجود نساء تصعد على خشبة المسرح. وهذه الفرقة، ستكون تمهيداً لتكوين فرقة قومية/محلية مسرحية مصرية. وهذا المشروع تحت رعاية الخديو إسماعيل ووزير المالية إسماعيل صديق باشا المفتش رئيس جمعية تأسيس التياترات العربية.

مشروع مراسل مجلة الجنان البيروتية

في هذه الفترة عرف مُراسل أو مكاتب مجلة الجنان البيروتية في مصر بهذا المشروع، فتقدم إلى أصحاب الشأن برغبته في الإتيان بهذه الفرقة؛ ولكنهم

رفضوا! فقام بمهاجمة مصر في المجلة، بصورة تهكمية؛ حيث كتب – في مارس 1871 – عن وجوب تشجيع أهالي الإسكندرية لكل من: ميخائيل أفندي يواكيم، وسليم أفندي جبارة – من بيروت – لتبرعهم ببناء مدرسة لتعليم اللغة العربية لأولاد الفقراء في الإسكندرية!! واختتم المقالة، بقوله: " أما أهالي الإسكندرية فهم في كدر عظيم، بسبب الإهمال الواقع على اللغة العربية، ويحبون جداً أن يصير فتح مدرسة عربية في بلدتهم. لأنه يصعب عليهم أن يرسلوا أولادهم إلى سورية ليتعلموها" (25).

تصدى أحمد فارس الشدياق لهذا الكلام – الذي عدّه إهانة في حق مصر – ورد على هذا (المراسل/المكاتب)، قائلاً: "إن عدد التلامذة الذين يتعلمون العربية والتركية في مكاتب الحكومة، والقبط والإفرنج المنوطة بعناية حضرة المشير المفخم محمد توفيق باشا ولي العهد، يبلغ نحو عشرة آلاف. أما المجاورون في الجامع الأزهر، فيبلغون أحد عشر ألفاً، وهم متألفون من جميع البلدان الإسلامية. فما علمنا إلى الآن أن أحداً من أهل الديار المصرية، يقصد الديار الشامية ليتعلم فيها العربية" (26).

فرد عليه المراسل في مجلة "الجنة" البيروتية!! وللأسف أسماء المراسلين لا تُذكر ولا تُكتب ولا تُنشر في مجلة الجنان أو الجنة – في ذلك الوقت – ولكن الشدياق، حاول أن يعرفه، فكتب ما توصل إليه، قائلاً: " قيل لي إنه رجل فرنساوي من مستوطني بيروت، وإنه يُعرف فيها باسم موسيو كروشو. ثم قيل إنه كان أحد مأموري بطركية الشام، ثم قيل إنه من تجار يافا، ثم قيل إنه رسول

مجرد من إدارة الجنان، متعهد بإصلاح جميع البلدان، التي يجول فيها، ولهذا يلقب بالمتنقل" [27]. وفي رد الشدياق عليه، واجهه بأمور جديدة، يهمنا منها هذه العبارة، التي ذكرها الشدياق عن هذا المراسل، قائلاً: لقد "عرض على بعض رجال الحكومة أن ينشئ بمصر ملعباً (تياطرو) عربياً" [28].

وأخيراً في مارس 1872، كتب الشدياق عن أسباب رفض الحكومة المصرية لهذا المشروع، قائلاً: " مكاتب الجنان المتنقل، قد طلب من الحكومة إنشاء تياطرو على أن يجلب إليه راقصين وراقصات، يلعبون فيه، فلم تأذن له" [29]. إذن السبب في رفض هذا المشروع، هو وجود الراقصين والراقصات!! وهذا الأمر من المحاذير المهمة، التي جاءت في تقرير العميل لمفتش البوليس. بل إن مشروع إنشاء المسرح العربي في مصر، من أهدافه إبعاد المصريين عن ارتياد أماكن الغناء والرقص.

الخواجة مستر جيمس الإنجليزي

تتبع الشدياق في جريدته "الجوائب"، مشروع إنشاء المسرح العربي في مصر – نكاية في مراسل مجلة الجنان – فوجدناه ينشر خبراً عن مصر في أغسطس 1871، قال فيه: "وقد سرنا ما بلغنا من أخبارها، أنه أنشئ فيها تياترو ينشد فيه الألعاب العربية. وللطفه قد حضر فيه في الليلة الأولى نحو ألف نفس. ثم أنه وإن كان قد أرسل إلى مصر عدة روايات من جهات مختلفة، خصوصاً من بيروت، إلا أنه انتخب له رواية يقال لها **القواس** ألفها أحد الإنكليز" [30].

أخيراً بدأ الشروع في المشروع، وسيصبح لمصر مسرح عربي. ومن الواضح أن الشدياق بالغ كثيراً في ذكر عدد الجمهور بقوله "ألف نفس"؛ لأن الأوبرا – بوصفها الأكبر – كان عدد مقاعدها لا يتجاوز الـ 800، ومسرح الكوميدي الفرنسي 300 [31]!! وهذه المبالغة من قبل الشدياق مبررة؛ لأنه يريد إغاظة مراسل مجلة الجنان وصاحبها بطرس البستاني؛ ويثبت لهما أن المشروع سينجح في مصر، بدون الاعتماد على بيروت وخبرة أبنائها في المسرح العربي. والدليل على ذلك أن الشدياق ذكر إن الشروع في المشروع، كان سيبدأ بعرض مسرحيات مارون النقاش – لأنها كانت منشورة ومتاحة في هذا الوقت – وبدلاً منها تم تمثيل مسرحية "القواس" من تأليف أحد الإنجليز!! وكأن القائمين على المشروع في مصر، أرادوا القول: نحن نستطيع إقامة المسرح العربي في مصر، بدون الاستعانة بممثلين أو بخبراء من بيروت، ونستطيع الاستغناء عن إحدى مسرحيات مارون النقاش، ونستبدلها بمسرحية لشخص إنجليزي!!

وبعد عشرة أيام، نشر الشدياق تفاصيل جديدة عن هذه البداية، قال فيها: "... صار إجراء اللعب بالثلاث قطع التياترية العربية، التي صار لعبها مراراً بتياتروا القنسير داخل حديقة الأزبكية. وذلك بسراي قصر النيل العامرة، أمام الحضرة الخديوية. وكان على جميع الحاضرين علامات السرور، لسريان ذوق تلك الألعاب الأدبية بالديار المصرية، وظهور نجاح تلك المادة التمدنية. وقد ابتدئ بهذه القطع الوجيزة باللغة العربية الدارجة، لقصد تسهيل التمرين على الشبان المتشبثين بإجراء تلك الألعاب؛ وحيث ظهر عليهم علامات النجاح في

هذه القطع الصغيرة السهلة، تأليف الخواجه جمس أحد أعضاء جمعية تأسيس التياترات العربية بمصر. فها هو جاري التمرين على قطعتين أدبيتين عربيتين أخريين أهم من ذلك، من قبيل ما هو جار بالبلاد الأوروبية المتقدمة في هذا الفن. إحداهما تسمى بالبخيل على أنموذج الكومدية الفرنساوية المسماة بهذا الاسم تأليف موليير الشاعر الفرنساوي الشهير. والأخرى تسمى بالجواهرجي عربية الأصل من تأليف بعض الشبان المصريين، وغيرهما من التأليفات الأدبية العربية الجديدة، وذلك تحت إدارة جمعية تأسيس التياترات العربية المذكورة. ولعلهما تحظيان بالتشريف بالإجراء بين يدي الحضرة الخديوية العلية، تشجيعاً لهذه الجمعية المستجدة في هذه الأيام الأخيرة بالديار المصرية، تحت حمى سعادة الباشا ناظر المالية، حتى يتم نجاح هذه المادة البهية، وتكون من جملة المواد التمدنية، التي ظهرت في عصر الحضرة الخديوية الإسماعيلية أعزها الله"[32].

ومن الواضح أن هذا الخبر، هو تفصيل للخبر السابق الخاص بالخواجة جيمس الإنجليزي الذي شرع في المشروع!! ولأهمية هذه التفاصيل، سنتوقف عند نقاط مهمة فيها، ونقول:

1 – إن المسرح الذي يعرض عليه الخواجة جيمس الإنجليزي أعماله، هو "تياترو القنسير" بحديقة الأزبكية!! وهذا التياترو أول مرة نسمع عنه، مما يعني إنه كشك صغير أو قاعة صغيرة ضمن أماكن الترفيه في الحديقة!! وهذا يتناقض مع الخبر السابق، عندما قال الشدياق إن الجمهور وصل إلى

"ألف نفس"!! وهذا يثبت أن الشدياق يبالغ في أخبار هذا الخواجة الإنجليزي، نكاية في مراسل مجلة الجنان!! أو أن العرض الذي، حضره ألف شخص، هو عرض تم في حديقة الأزبكية نفسها وسط الجمهور، ولم يتم داخل قاعة أو مسرح بالحديقة!!

2 – إن الخواجة جيمس الإنجليزي، لا يعرض مسرحيات كبيرة باللغة العربية، على غرار عروض مارون النقاش، بل يعرض باللهجة العامية عروضاً ارتجالية قصيرة – مثل الفصول المضحكة – التي يستغرق عرضها دقائق معدودة؛ حيث وصفها الشدياق بالقطع العامية الوجيزة الصغيرة السهلة. لذلك تم تمثيل ثلاث منها أمام الخديو في ليلة واحدة من أجل تسليته.

3 – برر الشدياق استخدام الخواجة جيمس الإنجليزي للهجة العامية في عروضه الارتجالية "بقصد تسهيل التمرين على الشبان المتشبثين بإجراء تلك الألعاب؛ وحيث ظهر عليهم علامات النجاح في هذه القطع الصغيرة السهلة". وهذا التبرير بهذا الوصف؛ ربما يدل على أن الممثلين، كانوا من شباب الإنجليز أو الجاليات الأجنبية الموجودة في مصر؟!

مشروع مسرح قومي

من الواضح أن جهود الخواجة جيمس الإنجليزي، لم تكن بالصورة المطلوبة للمشروع في صورته المصرية، كما تم التخطيط له من قبل الحكومة، والدليل على ذلك أمران: الأول، صمت الصحف – وتحديداً الجوائب – طوال سبعة أشهر عن أية أخبار تخص هذا الخواجة الإنجليزي، أو تخص عروضه،

مما يوحي بتوقفها لعدم جدواها في إنشاء المسرح العربي – وفقاً لتصور الحكومة – حيث إنها عروض صغيرة ارتجالية كوميدية باللهجة العامية، مخالفة لأهداف المشروع كما وضعته الحكومة المصرية. والأمر الآخر: قيام محمد أنسي ولويس فاروجيه – في مارس 1871 – بتقديم أوراق رسمية إلى المسئولين حول مشروعهما بإنشاء مسرح عربي في مصر، تحت اسم "مشروع مسرح قومي"!! وهذا يعني أن الخواجة جيمس الإنجليزي لم ينجح في إقناع المسئولين بعروضه الارتجالية العامية الوجيزة الصغيرة السهلة، التي لا تُنشئ مسرحاًعربياً، وفقاً لمشروع الحكومة؛ وإلا ما كان محمد أنسي ولويس فاروجيه تقدما بمشروعهما في هذا الوقت، وبعد عروض مستر جيمس في الأزبكية وأمام الخديو!!

ومشروع محمد أنسي ولويس فاروجية، مُقدم إلى الخديو إسماعيل؛ بوصفه مؤسس الفن المسرحي، على أن يكون المشروع بإدارة مدير التياترات الخديوية "درانيت بك" ورعايته. والمشروع عبارة عن تكوين فرقة مسرحية مصرية قومية، مع مدرسة لتعليم التمثيل المسرحي، وكل ذلك باللغة العربية – كما جاء نصاً في المشروع – لأن "اللغة العربية قادرة على خوض تجربة المسرح والتعبير عن وسائل اللهو والتسلية ... والهدف هو إقامة مسرح عربي يكون اسمه الرسمي هو المسرح القومي". وربما هذه العبارة تحديداً، تؤكد أن الخواجة مستر جيمس الإنجليزي لم يحقق الهدف المنشود في إنشاء مسرح عربي في مصر، وإلا ما كان محمد أنسي تقدم بمشروعه هذا، كما أوضحنا من قبل!!

وفي المذكرة الرسمية توضيح تفصيلي للمشروع، يهمنا منه هذه الفقرة: "... علينا في البداية أن نبدأ بمسرح مدرسي تكون مهمته مزدوجة؛ أي أن يُكوّن عناصر، أو يُعد فنانين، وفي الوقت نفسه يقدم عروضاً مسرحية. فالفنانون/الطلبة يحضرون محاضرات في الإلقاء وفي الأدب العربي وفي الموسيقى، إذا لزم ذلك! وفي الوقت نفسه يؤدون أدواراً في بعض المسرحيات. وبهذه الطريقة يمكن إعداد ركن مهم، على المدى الطويل، للفن المسرحي العربي".

والمقصود بعبارة "المسرح المدرسي" هنا، ليس المصطلح المعروف حالياً، بل المقصود "مدرسة للمسرح". وكما جاء في مذكرة المشروع، أن هذه المدرسة ستبدأ بالفرقة الأولى، وستقبل عشرين طالباً: ست بنات وأربعة عشر شاباً، سيتلقون دروساً في الإلقاء والموسيقى والأدب العربي. وسيتضمن الريبريتوار مسرحيات مترجمة من الفرنسية أو الإيطالية، مع مسرحيات مؤلفة ومحلية. ومكان المدرسة والفرقة هو مسرح الكوميدي الفرنسي، ومسرح الأزبكية في الصيف، وسيتم تقديم مسرحية أو اثنتين كل أسبوع. والمطلوب لإنجاز هذا المشروع – وفقاً للشرح السابق – هو مائة وخمسة عشر ألف فرنك (115.000)[33].

هذا المشروع – سنعلم بعد قليل – أن الخديو لم يضع فيه رأياً، وظل مشروعاً معروضاً، دون أي تنفيذ!! ومن وجهة نظري، أن سبب تجنب هذا المشروع، راجع إلى أمرين: الأول أن المشروع سيجمع بين البنين والبنات في

المدرسة والفرقة المسرحية!! ووجود المرأة على خشبة المسرح من الأمور المرفوضة في المشروع من الأساس، بناء على تقرير العميل إلى مفتش بوليس القاهرة السابق ذكره. والأمر الآخر، هو المبلغ الكبير المطلوب لهذا المشروع، في وقت كانت مصر مثقلة فيه بالديون.

جيمس الإنجليزي والتياترو العربي

مما سبق نعلم – وسنعلم لاحقاً – أن كل ما يتعلق بمشروع الحكومة لإنشاء المسرح العربي في مصر – من أجل إنشاء المسرح المصري – له وثيقة محفوظة في دار الوثائق القومية!! أقول هذا، لأنني – حتى الآن – لم أجد وثيقة تثبت أن الحكومة اتفقت مع الخواجة مستر جيمس الإنجليزي؛ كي يتولي مشروع إنشاء المسرح العربي في مصر!! حيث وجدت أحمد فارس الشدياق نشر في جريدته "الجوائب"، خبراً في مارس 1872، قال فيه: " ... أما الملاهي الأفرنجية أعني التياطرات، فقد قرب أوان قفلها، فلذا شرع في تهيئة التياطرو العربي الكائن بالأزبكية. وقد أعطي إنعام من حضرة الخديو المعظم لرجل من الإنكليز اسمه مستر جيمس، ليتولى ترتيبه وتنظيمه، فيقال إنه ألف حكايات مضحكة، تُرجمت إلى العربية. وأن افتتاح هذا المحل يكون في أول صفر القابل [الموافق 1872/4/9]. ولا شك أن أول كل شيء صعب؛ لكن المأمول أن التياطرو العربي يصل كغيره من الأمور إلى درجة الاتقان" (34).

وهذا الخبر، يشير إلى أن الخديو إسماعيل أنعم على الخواجة مستر جيمس الإنجليزي بإنشاء المسرح العربي في الإزبكية. وهذا المسرح سيتم افتتاحه

بعد أسبوعين تقريباً من نشر الخبر!! أي أن المسرح لم يُفتتح بعد!! كما أن الخبر يقول إن مستر جيمس الإنجليزي ألف حكايات مضحكة. وهذا الوصف يؤكد ارتجالية أسلوب هذا الإنجليزي في كتاباته العامية للقطع الوجيزة الصغيرة السهلة، التي قرأنا عنها من قبل!! مع الأخذ في الاعتبار أنها حكايات تم ترجمتها إلى العربية!! ولا أعلم لماذا تُرجمت؟! أليس هذا الإنجليزي كتب من قبل باللهجة الدارجة (العامية)!!

وأهم ملاحظة، أن الخبر كله لا تأكيد على أي شيء فيه، لأن إنعام الخديو لا وثيقة دالة عليه في دار الوثائق القومية، ولا في الصحف الرسمية مثل "الوقائع الرسمية"، ولا في الكتابات المنشورة؛ بوصفه إنعاماً متعلقاً بمشروع حكومي!! مما يعني إنه إنعام شفاهي أو سماعي، سمع به الشدياق؛ حيث إن جزءاً من الخبر، وصل إلى الشدياق بالسماع، بدليل قوله: "فيقال إنه ألف حكايات مضحكة"!! وأخيراً يجب التنبيه على أن الشدياق كتب هذا الخبر، دون تأكيد أو توثيق، نكاية في مراسل مجلة الجنان البيروتية وصاحبها!! فقد قال الشدياق، بعد الاقتباس السابق، مباشرة: " وكان مكاتب الجنان المتنقل قد طلب من الحكومة إنشاء تياطرو، على أن يجلب إليه راقصين وراقصات، يلعبون فيه فلم تأذن له. فيا لها من خيبة شملته، وصاحبه صاحب الجنان. مع أن صاحب الجنان أقام نفسه مقام واعظ ونذير، فالظاهر أن وعظ الناس بواسطة الراقصات من جملة مخترعاته. ولولا ذكر التياطرات لما تصديت لفضح مأمورية مكاتبه المتنقل؛ ولكن الشيء بالشيء يذكر فليسامحني على هذا الاستطراد ...." [35].

وفي غرة صفر 1289، الموافق 9 أبريل 1872، وهو موعد افتتاح التياترو العربي – بناءً على الخبر السابق على يد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي في حديقة الأزبكية – لم نجد أي افتتاح لمسرح عربي لا في الحديقة ولا في غيرها!! ولكن في هذا اليوم حدث شيء آخر، وهو ظهور أول مسرحية مصرية مؤلفة منشورة باللغة العربية، عنوانها "نزهة الأدب في شجاعة العرب المبهجة للأعين الزكية في حديقة الأزبكية" – أو ليلى [36] – ألفها محمد عبد الفتاح، ونشرها في المطبعة الإيطالية المشهورة بالمطبعة الكاستليه لصاحبها الخواجة جاكموا كاستلي، ومؤرخة في غرة صفر 1289!! وقد أهداها المؤلف إلى وزير المالية إسماعيل صديق باشا المفتش. وفي مقدمتها، قال:

"... لما أبصرت جواهر الدر الثمين منثوراً على بساط الليالي. وبرزت أهل المعارف في ميدان التصانيف. وجال جواد فكرهم الصافي في حومة التصانيف. خصوصاً صديقنا الرئيس جمس المعتبر. الذي صنف من أعظم هذا الفن ما يزيد على **اثنى عشر**. وقد كانت الناس قبله على عدم وجوده في قلق. حتى إنه أظهر همته العالية وشرع في أعماله، فجاء كما الفلق. وبعد اطلاعي على تلك التصانيف. حنيت شوقاً إلى اقتفاء طريف آثاره المنيف. وكونت تلك المكينة من تصوراته ثم **عرضتها عليه وعلى من به إلمام بمفرداته وتركيباته**، فقر بها نظرهم ..." [37].

وهذه المقدمة تشتمل على معلومتين مهمتين: الأولى، إن مستر جيمس لا يعرف اللغة العربية، وهذا أمر طبيعي؛ لأنه إنجليزي مقيم في مصر، ولا

يحسن سوى العامية (المكسرة)، التي يكتب بها قطعه الوجيزة الصغيرة السهلة!! والدليل على ذلك، قول المؤلف: "**عرضتها عليه وعلى من به إلمام بمفرداته وتركيباته**"؛ أي أن المؤلف عرض المسرحية – قبل نشرها – على مستر جيمس بصفة عامة، وبصفة خاصة على غيره من العرب أو المصريين المتمكنين من اللغة العربية، لمراجعة مفردات النص وتراكيبه، لأن النص مكتوب باللغة العربية وليس بالعامية!! والمعلومة الأخرى، أن مستر جيمس كتب أكثر من اثنتي عشرة قطعة وجيزة صغيرة سهلة، وهذا عدد مبالغ فيه، ربما ذكره المؤلف مجاملة لصديقه مستر جيمس!! لأن ما عرفناه حتى الآن أن مستر جيمس عرض بالفعل أربع قطع وجيزة صغيرة سهلة، مكتوبة بالعامية – وهي القواس، وثلاث قطع عرضها أمام الخديو – وذلك بناءً على الأخبار السابقة المتعلقة بعروض الخواجة أثناء فترة شروعه في المشروع، والتي لم نجد غيرها حتى الآن؛ إلا إذا كانت هناك قطع ارتجالية مكتوبة؛ ولكنها لم تُعرض.

والجدير بالذكر، إن المسرح العربي لم يُفتتح نهائياً على يد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي، ولا على يد غيره، كما كان مقرراً في أول صفر 1289 – الموافق 9 أبريل 1872 – فقد صدرت جريدة الجوائب بعد هذا التاريخ، دون أن يتحدث فيها الشدياق عن هذا الافتتاح، بل وجدناه يتحدث عن حديقة الأزبكية، وما فيها من أنشطة، حتى وصل في حديثه إلى التياترو العربي، فقال: "ويقال أيضاً إن الملهى العربي فيها، سيوسع ويُحسن. وأنه في الثاني والعشرين

من هذا الشهر، يجري في الملهى الفرنساوي تمثيلية عربية. فإن صح هذا، كان دليلاً على نجاح الملهى العربي، واستغنائه عن راقصات بيروت" [38].

وأهمية هذا الخبر، إنه يثبت أن المسرح العربي لم يتم افتتاحه في الأزبكية على يد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي!! والغريب أن الخبر بدلاً من أن يتحدث عن الافتتاح الذي كان مقرراً، نجده يتحدث عما يُقال من توسيعات وتحسينات ستحدث فيه!! وهذا أكبر دليل على عدم افتتاحه!! والأغرب أن الخبر يشير إلى عرض عربي سوف يُعرض في مسرح الكوميدي الفرنسي بعد أيام، مما يعني أنه عرض آخر، لا علاقة له بجهود مستر جيمس!! ولكن بكل أسف، لم نجد دليلاً واحداً على إثبات أية معلومة وردت في هذا الخبر، وكفى أن الخبر كله، جاء إلى الشدياق – كالعادة – بالسماع، لأنه بدأ الخبر بقوله: "ويقال"!! وكما هي عادة الشدياق في هذه الأخبار المتعلقة بالمسرح العربي في مصر، إنه يبالغ فيها، ويجملها، ليوحي للقراء بنجاح التجربة، نكاية في مكاتب مجلة الجنان، الذي رفضت مصر مشروعه من قبل، بدليل قوله في نهاية الخبر: "... كان دليلاً على نجاح الملهى العربي، واستغنائه عن راقصات بيروت".

إذن لم يُفتتح المسرح العربي، ولم ينجح مشروع إنشاء المسرح العربي في مصر على يد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي!! والدليل على ذلك أن مدير التياترات "درانيت بك"، أرسل خطاباً – في 20 أبريل 1872 – إلى أحمد خيري باشا مهردار الخديوي إسماعيل، قال فيه: " أرسل لكم طيه مشروع المسرح العربي، الذي أعده السيد أنسي والسيد فاروجيا. حدثت صاحب السمو عنه عدة

مرات، ولم يعطِ حتى الآن أي رد في هذا الموضوع. علماً باهتمامكم بمشروع هؤلاء السادة، أرجو منكم أن تتكرموا بعرضه مرة ثانية على صاحب السمو، عندما ترتأوا الوقت المناسب" (39).

وهذا الخطاب، وثيقة رسمية تثبت عدم نجاح مشروع الخواجة جيمس الإنجليزي، وتثبت أن المسرح العربي لم يُفتتح نهائياً في حديقة الأزبكية على يد هذا الإنجليزي، وظلت جهوده محددة بالقطع الأربع، التي عُرضت بالعامية في بداية شروعه في المشروع – وقبل إنعام الخديو، إن صح هذا الإنعام – وهي القطع الكوميدية الارتجالية العامية الوجيزة الصغيرة السهلة!! فلو كان الإنجليزي نجح في مشروعه، وأنشأ المسرح العربي، ما كان مدير التياترات بنفسه كتب هذا الخطاب، وما كان أرسله لمهردار الخديو، كي يتوسط عند الخديو للموافقة على مشروع محمد أنسي ولويس فاروجيه!!

آخر دليل يثبت عدم إنشاء المسرح العربي في مصر – أو افتتاح التياترو العربي – على يد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي، أو على يد غيره، أن جميع المسارح والملاهي تم إغلاقها في شهر أبريل 1872، أي في التوقيت المقرر لافتتاح المسرح العربي في الأزبكية!! فقد قالت جريدة الجوائب: "... عن قريب تقفل الملاهي لدخول الحر، ولذا ترى أفواجاً من الناس، يتمشون الآن في بستان الأزبكية من العصر إلى العشاء، ليتلذذوا بطيب هوائه" (40).

حقيقة الخواجة مستر جيمس الإنجليزي

وبناءً على ما سبق، نقول: إن جهد الخواجة مستر جيمس الإنجليزي، يتمثل في عرضه قطعة "القواس" في حديقة الأزبكية في أغسطس 1871، وعرضه لثلاث قطع أمام الخديو إسماعيل في أغسطس 1871 أيضاً. وهذه القطع هي قطع كوميدية وجيزة صغيرة سهلة بالعامية (الدارجة)، وهي كل ما عرضه هذا الإنجليزي حتى الآن خلال شهر واحد فقط، وهو شهر أغسطس 1871!! مع الأخذ في الاعتبار عدم نجاحه في مشروعه بإنشاء مسرح عربي، أو في افتتاح تياترو عربي بالأزبكية؛ بناءً على إنعام الخديو، الذي لم نجد – حتى الآن – وثيقه تثبته!!

وبما أن الخواجة مستر جيمس إنجليزي – وربما فرقته متكونة من شباب الجاليات الأجنبية – فقد حاولت الصحف الأجنبية في مصر – والتي تنشر أخبار الأجانب والجاليات الأجنبية وأنشطتها في مصر – أن تتحدث عما أنجزه هذا الإنجليزي، لعلها بذلك تستعطف الخديو فيمنحه فرصة أخرى!! ومن هذه الصحف، صحيفة "L'Egypte"، التي نقلت منها الجوائب – في مايو 1872 – قائلة: "أورد كاتب الإيجبت بتاريخ 11 من مايو مقالة طويلة، اثنى فيها على **مستر جامس سنوا**، مدير التياطرو العربي الثناء الجميل. فمن جملة ما قاله فيها: إن الموما إليه أنشأ **خمس روايات**، وقعت عند جميع الناس موقع الاستحسان. فالمأمول أن الخديو المعظم، يشمله بمزيد عناية منه، إذ قد تحقق

ما ينشأ من هذا المحل من الفوائد الأدبية، فضلاً عن ترويح النفس وانشراح الصدور" [41].

ومن الواضح أن هذا الخبر لم يأت بجديد بخصوص نشاط هذا الإنجليزي، ولم يحرك الخديو ساكناً، فقامت جريدة أجنبية أخرى بمحاولة جديدة بعد ثلاثة أشهر، وهي جريدة "Egyptian Messenger"، التي نقلت منها الجوائب أيضاً – في أغسطس 1872 – قائلة: " ذكر في الصحيفة المطبوعة في الإسكندرية، المسماة إيجبشيان ماسنجر، أن **مستر جامس سانو** مدير التياترو العربي، أنشأ في مصر في مدة سنة واحدة، **خمسين تمثيلية** أو رواية بالعربية، وكلها صار مستحسناً. وأن كل من شاهد الملهى، الذي أجريت فيه، أثنى عليه، وترجى أنه يصل إلى درجة الاتقان التام" [42].

ولأهمية هذين الخبرين [43]، سنتوقف عند أهم ما فيهما من أمور في النقاط التالية:

1 – الخبران منشوران بعد إخفاق الخواجة مستر جيمس الإنجليزي في إنشاء المسرح العربي، في محاولة لاستعطاف الخديو لإعطاء الإنجليزي فرصة أخرى.

2 – الخبران يتحدثان بصيغة الماضي حول ما قدمه مستر جيمس الإنجليزي، ولا يوجد أية إشارة إلى أي نشاط حالي أو مستقبلي!!

3 – الخبر الأول حدد نشاط مستر جيمس بأنه قدم خمسة أعمال – قلنا عنها سابقاً إنها أربعة أعمال – وهذه الأعمال الخمسة، أصبحت في الخبر الثاني – وبعد ثلاثة أشهر فقط – خمسين عملاً!! والاحتمال الأرجح أن الجوائب أخطأت في نقل الرقم، أو أن شخصاً ما أرسل الخبر إلى الجريدة بصورة مبالغ فيها، فجعل الخمسة خمسين!!

4 – الخبران منشوران في جريدتين أجنبيتين متخصصتين في نشر أخبار الأجانب والجاليات الأجنبية في مصر، لذلك تم ذكر اسم الشخص بما هو معروف في وسط الأجانب والجاليات الأجنبية، وهو " مستر جامس سنوا"، مما يعني أن "الخواجة مستر جيمس الإنجليزي"، هو "مستر جيمس سنوا" الذي عرفناه في الدراسات الحديثة باسم "**يعقوب صنوع**"؛ بوصفه رائداً للمسرح العربي في مصر، أو رائداً للمسرح المصري!!

وبناء على هذه المفاجأة، نقول: إن يعقوب صنوع، هو مستر جيمس سنوا، وهو الخواجة مستر جيمس الإنجليزي!! وكل ما قام به خلال شهر أغسطس 1871 فقط، يتحدد في تمثيله مع شبان من الجاليات الأجنبية لأربع قطع تمثيلية ارتجالية كوميدية وجيزة صغيرة سهلة باللهجة العامية (الدارجة). وتم عرضها في مسرح صغير بحديقة الأزبكية، وعرض ثلاث منها أمام الخديو، ولم ينجح في إنشاء المسرح العربي في مصر – وفقاً لتخطيط مشروع الحكومة – ولم يفتتح التياترو العربي بالأزبكية بناءً على إنعام الخديو، غير الموثق. وهذه الحقائق المكتشفة – خارج كتابات صنوع عن نفسه في مذكراته وفي صحفه [44] – تنفي

عنه ريادة المسرح العربي في مصر، أو ريادة المسرح المصري، كما يعتقد أغلبنا؛ وذلك للأسباب الآتية:

1 – إذا كانت ريادة المسرح العربي في مصر، محددة بالسبق التاريخي للكتابة المسرحية بالعربية أو العامية، فإن هذه الريادة من حق الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي؛ بوصفه صاحب أول نص مكتوب ومنشور باللغة العربية في مصر – وفي العالم العربي – عام 1868، وهو نص أوبرا "هيلين الجميلة"، المترجم من اللغة الفرنسية.

2 – وإذا كانت ريادة المسرح العربي في مصر، محددة بالسبق التاريخي لأول مسرحية مؤلفة بالعربية ومنشورة – وليست مترجمة – فإن هذه الريادة من حق محمد عبد الفتاح، الذي ألف ونشر مسرحية "نزهة الأدب في شجاعة العرب المبهجة للأعين الزكية في حديقة الأزبكية" المنشورة عام 1872.

3 – وإذا كانت ريادة المسرح العربي في مصر، محددة بالسبق التاريخي لأول مسرحية مُمثلة بالعربية، فإن هذه الريادة من حق من قاموا بتمثيل مسرحية "الإسكندر في الهند" عام 1870، أو من حق عائلة قطاوي التي أشرفت وقدمت الدعم لبعض العروض المسرحية العربية عام 1870 أيضاً.

4 – وإذا كانت ريادة المسرح العربي في مصر، محددة بمن أثر بأعماله المسرحية، وتأثر به البعض، فنتج عن التأثير والتأثر نشاط مسرحي عربي، أدى إلى انتشار المسرح العربي في مصر!! فإن هذه الريادة ليست من حق أي إنسان حتى عام 1872، لعدم وجودها على أرض الواقع.

سليم خليل النقاش في مصر

مما سبق نلاحظ أن جميع المحاولات لإنشاء المسرح العربي في مصر أخفقت. وهذا الإخفاق جعل المسئولين يعودون إلى أصل مشروع الحكومة المصرية – كما جاء في تقرير العميل (زد Z) – وهو الاعتماد على بيروت في نصوص مسرحياتها العربية، وعلى فنانيها أصحاب الخبرة المسرحية، من أجل إنشاء المسرح العربي في مصر!! وبالفعل تم التواصل بين المسئولين في مصر وبين سليم خليل النقاش في بيروت؛ الذي حضر إلى مصر في أواخر عام 1874، وقام بجولة في القاهرة ومسارحها، وشاهد في الأوبرا مسرحية "عايدة"، فعاد إلى بيروت وقام بترجمتها، ونشرها في أبريل 1875، وأهداها إلى الخديو إسماعيل، وفي مقدمتها، قال:

"... أما بعد فإن هذه الرواية غير مصنفة. أو مخترعة مؤلفة. وليست بمعربة تماماً فلا أعرف ماذا أسميها. أما الباعث لي على نظمها، فهو إني يممتُ مصر في هذه السنة، وسرحت ناظري، فشرحت خاطري، بمرأى غرائبها، ودخلت مراسحها. فرأيت بها كل ما يرتاح إليه المتفرج الغريب. ووافق حظي أن حضرت فيها تشخيص رواية عائدة الشهيرة، فتمعنتها من استهلالها حتى الختام، ثم وقفت عليها مطبوعة في اللغة الإيطالية، وقرأتها بالتروي التام. فوجدت أنه قد صُرف الاعتناء بربط أنغامها، أكثر من مراعاة قواعد فن الروايات بجدل موضوعها، وحُسن سبكه. ولما أُبلغت أن هذه الرواية تروق بأعين مولاي الداوري الأفخم خديو مصر المعظم، رأيت أن بها وسيلة، طالما تمنيتها، لتقديم خدمة

لذاته الكريمة، التي ملأت الأقطار بأفضالها العميمة، فرغبت في تعريبها. على أني وجدت أن إبقاءها على ما هي عليه، لا يفي بالمرام. فأخذت الموضوع، وبادرت إلى نظم الرواية، مراعياً في تأليفها قواعد فن الروايات، على قدر الإمكان. ومن يطالعها، يدرك الفرق الكائن بين أصلها الإيطالي والعربي ..... وقد التزمت بها السجع، ونمقتها بقدودٍ ملحنة، وأشعار موافقاً بذلك الذوق العربي" (45).

ما جاء في هذه المقدمة، يعكس مدى اهتمام سليم النقاش بمشروع الحكومة المصرية في إنشاء المسرح العربي في مصر. ووفقاً للوثائق، علمنا أن الاتفاق رسمياً، تمّ بين سليم النقاش ودرانيت باشا مدير التياترات المصرية؛ على أن يقوم سليم بتجهيز فرقة مسرحية في بيروت، ويأتي بها إلى مصر، كي تعرض مسرحياتها في مسرح الكوميدي الفرنسي بالقاهرة لمدة خمسة وأربعين يوماً، خلال شهري سبتمبر وأكتوبر 1875 (46). وهذا الاتفاق الرسمي؛ يُعدّ إقراراً من الحكومة المصرية بأن المحاولات السابقة، التي قام بها المصريون والأجانب لإنشاء مسرح عربي في مصر، كانت محاولات غير ناجحة.

وبناء على الاتفاق الرسمي، استعد سليم النقاش وفرقته استعداداً، يليق بمهة إنشاء المسرح العربي في مصر. وقد نقلت لنا مجلة الجنان البيروتية تفاصيل هذه المهمة في مقالة كبيرة، نشرتها في يوليو 1875، تحت عنوان "الروايات العربية المصرية". ولأهمية هذه المقالة (47)، سنجتزئ منها هذه الأجزاء.

قالت المجلة: إن الحضرة الخديوية "صممت على إنشاء الروايات العربية، ولو حالت دون ذلك صعوبات كثيرة. فبعد الاجتهاد في ذلك السبيل بضع سنين، صدرت إرادتها السنية بأن يقوم جناب سليم أفندى نقاش بترتيب روايات عربية، وتنظيمها على نسق موافق للنسق الأوربي". وأسلوب هذا الكلام، باختيار كلماته – مثل: صممت، إنشاء، إرادتها – لم يُستخدم من قبل، مما يعني الجدية في تنفيذ المشروع!! هذا بالإضافة إلى الاعتراف بأن الحكومة المصرية، اجتهدت في هذا الإنشاء بضعة سنين، ولم تفلح فيه. وأخيراً نجد أن المطلوب من سليم النقاش، عرض مسرحياته العربية في مصر، بحيث تتشابه مع المسرحيات الأوروبية في نسقها وتنظيمها. وهو الأمر الذي بدأ به سليم بالفعل، عندما ترجم مسرحية عايدة!!

واستمرت المقالة في الحديث عن المهمة، فأوضحت أن سليم النقاش هو ابن شقيق مارون النقاش – رائد المسرح العربي بصفة عامة – وإنه شغوف بالمسرح منذ صغره، وجاء "ببراهين كافية أقنعت جناب درانيت بك مدير الروايات [التياترات] المصرية، بأهليته وحذقه، فصدرت الإرادة الخديوية السنية بأن يقوم بعمل الروايات العربية"، بحيث يحافظ فيها "على القواعد الصحيحة، ويحيد عن كل ما من شأنه الإضرار بالآداب العمومية، ويفرغ جهده في الإتيان بالأمور المفيدة ..... [لأننا] ننتظر أن نرى في مصر، روايات عربية أدبية خالية مما يضر، ومحتوية على ما هو موافق لمشرب الأهالي من العادات والأغاني

والموسيقي". وبالفعل كوّن سليم النقاش الفرقة، وبدأ تدريبها في بيروت على مسرحية "البخيل"، وثلاثة فصول من مسرحية "عايدة" (48).

لم يكتف سليم خليل النقاش بما كتبه في مقدمة مسرحية عائدة، ولم يكتف بما كتبته عنه مجلة الجنان، فكتب بنفسه مقالة ضخمة حول مهمته في مصر، وكيف سينفذها، وفقاً لمشروع الحكومة المصرية؛ نشرها في مجلة الجنان بتاريخ أغسطس 1875، تحت عنوان "فوائد الروايات أو التياترات" أو "نسبة الروايات إلى هيئة الاجتماع" (49)، بدأها بمقدمة طويلة حول أهمية وجود أصحاب التخصصات المختلفة وتعاونهم من أجل مدنية الدولة، وهذا هو تعريف عبارة "هيئة الاجتماع"، التي استخدمها كثيراً. وقد ربط بينها وبين المسرح، قائلاً:

"إن هيئة الاجتماع من أخص أسباب تقدم الإنسان. وقد عرف ذلك من قبلنا الأوربيون، فأوجدوا وسائط لتحسينها عندهم. منها قاعات التشخيص المعروفة بالتياترو، وهي المرآة التي تظهر للإنسان تمثال نفسه، فيرى عيوبه ونقائصه فيتجنبها ..... [و] ما يشترط في الروايات، فهو أن تجلي بها الفضيلة ونتائجها الحسنة، لتميل بالناس إليها. وتبدو الرذيلة تحت برقع الأدب مع عواقبها الوخيمة، ليرى الناظر شناعتها فيتجنبها، ويأنف من الإتيان بها ..... وهذا هو المطلوب من كل مؤلف رواية، تشخص رواياته لدى الجمهور" (50).

كما تحدث سليم في المقالة عن ظروف اختياره لإنشاء المسرح العربي في مصر، قائلاً: "... ولما تعرفت بعض أعيان مصر الكرام، بسطت إليهم أمري، وأطلعتهم على ما بسري. فأوعزوا إليّ أن ألتجئ إلى المراحم السنية

الخديوية، فهي ملجأ الراجي، ومنية الراغب، ومأمول الطالب، ففعلت. وهكذا بلغت فوق ما تمنيت من أفضال جنابه العالي، وأحسن إليّ بقبول طلبي، وذلك بأن أدخل فن الروايات باللغة العربية إلى الأقطار المصرية. فعدت إذ ذاك لأجهز في بيروت جماعة للتشخيص، وألفت بعض روايات. وبعد جمع الجماعة، باشرت دراسة الروايات، فأُتقن أكثرها. وعما قليل يتم اتقانها كلها، فأسير بالجماعة، لأجري هذه الخدمة في الديار المذكورة" (51).

وعندما تطرق سليم إلى المقارنة بين مسرحياته العربية، التي سيعرضها في مصر، وبين المسرحيات الأجنبية، وجدناه ينتصر للغة العربية الفصحى، نابذاً العامية، قائلاً: "... أما مؤلفاتهم [يقصد الأجانب] في هذا الباب، فلا تمتاز إلا قليلاً عن بعض مؤلفاتنا. فإننا إنما آخذون عنهم، ومقتفون أثرهم، وتابعون قواعدهم الجوهرية. بيد أننا نقول، ولا نخاف منكراً: إن رواياتنا تكون أطرب وأعجب من رواياتهم عند أبناء العرب. ولذلك أسباب شتى، أهمها كون لغتنا عربية؛ فهي تلذ لأهلها، لذة لا يمكن أن يذوقوا ما يحكيها من غيرها. فإن العربي مهما كان بارعاً في اللغة الأجنبية، لا يفهم من دقائقها قدر ما يفهمه من دقائق لغته .... ولمعترض أن يقول: إن لهجة أهل مصر، تختلف اختلافاً عظيماً عن لهجة أهل سورية. وأنهم ربما كانوا لا يسرون أتم سرور بلهجة لا توافق ذوقهم وعاداتهم. فأقول: إن الروايات التي سنشخصها لديهم، إنما تكون مُعربة بلغة صحيحة، لا عامية. وهذا لا خلاف فيه بين مصر والشام، فبطل إذاً قول المعترض" (52).

وهكذا استعد سليم النقاش استعداداً كبيراً للقيام بمهمة إنشاء المسرح العربي في مصر. وقبل السفر بأيام قليلة، أصيبت بيروت بوباء الكوليرا، فتوقفت جميع السفن عن الإبحار منها وإليها؛ فلم تسافر الفرقة في موعدها المحدد إلى مصر. فكتبت مجلة الجنان مقالة في هذا الشأن، تحت عنوان "الروايات الخديوية التشخيصية" (53)، جاء فيها: " في جزء سابق من الجنان، نشرنا جملة طويلة عن الروايات التشخيصية الخديوية العربية، التي سُلم إنشاؤها إلى جناب الأديب البارع سليم أفندى خليل النقاش، وسُمح له بأن يأتي مدينة بيروت، لقيام التعليم فيها في مدة الصيف. وذكرنا فيها ما رأيناه عند ذلك في أثناء التمرين. مما يدل على إتقان الروايات، وبلوغ المشخصين باللغة العربية درجة من الإتقان في برهة قصيرة، لا ينتظر بلوغهم إياها في أقل من خمس سنوات. ولولا موانع الهواء الأصفر [الكوليرا] لكان سليم أفندي المومأ إليه، والمشخصون والمشخصات في مصر القاهرة، منذ شهر أيلول للابتداء في التشخيص في ذلك الشهر" (54).

كما أوضحت المقالة، أن سليم النقاش وفرقته، استغلوا تأخر السفر إلى مصر في البقاء ببيروت لزيادة التمرين والتدريب على المسرحيات العربية، حيث مثلت الفرقة مسرحيتين "البخيل" لمارون النقاش، و"ميّ" لسليم النقاش، وتم عرضهما في قاعة جديدة بناها في بيروت بطرس تيان. وفي ختام المقالة، قال كاتبها: " وبالجملة نقول: إن ما رأيناه من التشخيص الابتدائي هنا، يحملنا على الحكم بنجاح سليم أفندي، وبانتظار حصول اللغة العربية بواسطة المساعدات الخديوية، على مشخصين محافظين على الآداب، وأسباب المنافع، وعلى تحريك

العناصر الممدوحة في الأمة كالحمية وكرامة الأخلاق وحب المجد والجد والحنو وغير ذلك، مما تهتم به السياسة، لتأثيره في الناس. وإنه بواسطة عناية جناب صاحب العزة درانيت بك، وأنظاره الناتجة عن التفات الجناب الخديوي العالي، يكون للغة العربية في سنتين، موقف تشخيص ليس بأقل إتقان من موقف الإفرنج" (55).

وأخيراً جاء سليم خليل النقاش وفرقته المسرحية إلى مصر، ونشرت خبر قدومه جريدة الأهرام، تحت عنوان "الروايات العربية". ولأهمية هذا الخبر، سنذكره كاملاً؛ بوصفه أول خبر لأول فرقة مسرحية عربية، ستعرض مسرحياتها في مصر، وتكتب بقدومها تاريخ المسرح العربي في مصر، الذي بدأ بها، ولم يتوقف حتى يومنا هذا!!

قالت جريدة الأهرام، يوم 16 ديسمبر 1876: " لأمر غني عن البيان، أن تشخيص الروايات يُعدّ من الوسائل الأولى، التي بها أدمجت الهيئة الاجتماعية، وأحكم نظامها. وما نجم عن هذا المبدأ الحسن من الفوائد الجليلة، يقصرنا عن الإسهاب في الشرح لتثبيت ما أوردناه. فضلاً عن أن جميع البلاد المتمدنة، تراعي هذا العمل أتم مراعاة، وتسهل السُبل لإتقانه. وبناءً على ذلك، يسرنا أن نرى من أبنائنا نحن العرب، شباناً أقدموا إلى ساحة هذا المضمار، وخاضوا في جوانبه، وتعلموا جميع أبوابه. فأدركوا ما أدركوا، بحزم أقرن بالثبات. وأحكموا ما أحكموا، بجهاد قومته الفطنة، فرجعوا إلينا فوارس محنكين. وكان ممن نبغ فيهم، وحاز قصب السبق بينهم، ذاك الفتى اللبيب والحاذق الأديب

سليم أفندي نقاش، الذي تلقى هذا الفن عن عمه، المرحوم الخواجا مارون النقاش الشهير، مبدع هذا العلم في الأقطار السورية، ثم عاناهُ بعدهُ مُجدّاً، وراجع فيه مدققاً، واطلع على مخباءتهِ ببحثه عنهُ في كتب الأقوام، الذين لهم فيه باع طويل. وما لبث أن برهن عما كان هنالك من اكتسابه، بتقديمه روايات عديدة في مدينة بيروت وخلافها. شهد له بإتقانها، وحُسن استكانها، كل من له إلمام تام بهذا الفن. ويسرنا الآن أن نعلن بأنه حضر في هذه الأثناء إلى مدينتنا الإسكندرية، مع رفقته المؤلفة من رجال ونساء، مُتِمين حقوق التشخيص، ليقدم للجمهور ثمرة تعبه، مؤملاً أن يكون سعيه مشكوراً. أما نحن، فبالنظر إلى ما نعهده من درابته ودرايته، وما نعرفه من مهارة المشخصين، وتعودهم على ذلك، فلا شك بأنه سيقدم ما يسر. فلا يقنعك يا صاح بعدم التصديق ظنك بهم أنهم عرب. وقد قيل: كل من سار على الدرب وصل. فالمرجو من الجمهور أن يتلقى مشروعه هذا بالقبول، ويشجعه بواسطة تشريفه، ويعضده بمساناته الأدبية. حتى يكون لهذه الجمعية آثار حسنة، تفتح في أقطارنا العربية أبواباً لنجاح هذا الفن المرغوب عن كل أمة. أما المحل الذي يجري فيه التشخيص فتياترو زيزينيا. وسيكون ابتداء ذلك في يوم السبت القادم في 23 الحالي الساعة 8 ونصف أفرنجية ليلاً. لكن ترتيب الدخول وتعيين الدفع ومواضيع التشخيص وخلافها، فسيطبع لها إعلانات خصوصية وتوزع. وكذلك لا نتأخر عن أن ندرج في الأهرام، وفي صداه أيضاً [أي في جريدة صدى الأهرام] كل ما يلزم لذلك، والله الموفق".

وقد تابعت جريدة الأهرام، نجاح عروض الفرقة، فكتبت في 30 ديسمبر 1876، قائلة: " لقد قدّم التياترو العربي في ليلة الجمعة الماضية رواية (الحسود السليط)، وكان المكان مزدحماً بالناس كالأول. فالمأمول أن المشخصين يزدادون تقدماً في صناعتهم، بالنسبة إلى ما يُعطى لهم من الروايات الجميلة، التي تسر الجمهور الراغب نجاحهم جداً. وفي مساء هذه الليلة يُعاد تشخيص رواية (هرون الرشيد)، فالمرجو أن يكون العود أحمد".

وظلت جريدة الأهرام، تتابع نشاط الفرقة، فنشرت يوم 6 يناير 1877، قائلة: " لقد شخص التياترو العربي في يوم السبت الماضي رواية "هرون الرشيد"، فأتت متقنة غاية الاتقان، ومحكمة من المشخصين عموماً. وذلك أورد لنا شاهداً قوياً على تحسين الألعاب، وتقدم المشخصين بالتدريج في هذا السلك، إلى أن يحاكوا من برعوا في ذلك مع طول المدى، لأن المقابلة تبين الأشياء. وبناءً على ما ذكر، صرنا نتوقع منهم في المستقبل، ما يدعو الجمهور إلى إظهار المديح والارتياح إلى ما يصبو إليه من تقدم هذا الفن، في جميع الأقطار العربية. فنهنئ إذاً صاحبنا مدير التياترو المذكور جناب سليم أفندي نقاش، ونرجو له التوفيق والنجاح. وفي مساء هذه الليلة تشخص رواية (ميّ)، فلنا الأمل العظيم بأن تسر الجمهور غاية السرور، نظراً إلى جمال موضوعها".

وقد تابعت جريدة الجوائب، نجاح الفرقة، الذي استمر حتى مارس 1877؛ حيث عرضت الفرقة مسرحيتي (عائدة) و(الكذوب) على مسرح زيزينيا – بالإضافة إلى المسرحيات الثلاث السابقة – وكانت نصوص المسرحيات تُباع

في شباك التذاكر، وفي مكتبة حبيب غرزوزي بالإسكندرية، وتحديداً نص مسرحية (عائدة)، ونص مسرحية (ميّ) [56]. وأمام اهتمام الجوائب بأخبار الفرقة، كتب سليم النقاش كلمة عنها، قال فيها:

"ينبغي أولاً أن أشكركم على ما ذكرتموه في شأني، بالنظر إلى الهمة والسعي، اللذين بذلتهما في اتقان الألعاب التياترية في هذه الأقطار العامرة. ثم أقول: إن نجاح سعيّ، كان مما رأيته من إسعاف عدة من رجال الحكومة الكرام، لا سيما الهمام الأفخم، التي محاسنة أشهر من نار على علم، حضرة سعادتلو سيدي عمر لطفي باشا محافظ الإسكندرية، المشهور بالهمم العلية. فها أنا الآن عازم بحوله تعالى، وعناية هذا الشهم، على أن أجري هذه الألعاب في القاهرة. فأرجو من الله تعالى، أن يقرن أعمالي بالخير والنجاح، وأن يديم لنا أفندينا ولي النعم سيدنا الخديو المعظم" [57].

ومما سبق يتضح لنا أن إنشاء المسرح العربي في مصر – وفقاً لتخطيط الحكومة المصرية – تمّ على يد سليم خليل النقاش وفرقته، بالاتفاق مع درانيت باشا مدير التياترات، وبرعاية من الخديو إسماعيل! وقد استعدت الفرقة وتدربت عاماً ونصف العام في بيروت قبل أن تأتي إلى مصر! وعندما جاءت إلى مصر، عرضت مسرحياتها العربية في مسرح زيزينيا بالإسكندرية، وبنجاح كبير، نقلته لنا الصحف في مصر وفي أسطنبول!! وكانت نصوص مسرحياتها تُباع في شباك التذاكر وفي أشهر المكتبات؛ حيث إنها مسرحيات عربية على النسق الأوروبي.

الرائد سليم خليل النقاش

نجح سليم خليل النقاش في إنشاء المسرح العربي في مصر. وعندما نجح في الإنشاء؛ انتقل إلى مجال آخر، وهو مجال الصحافة؛ حيث أصدر جريدة مصر [58]، تاركاً أمر فرقته المسرحية إلى يوسف الخياط، ساعده الأيمن في الفرقة، الذي تولي قيادتها عدة سنوات، مما دفع الآخرين إلى تكوين فرق مسرحية عربية أخرى في مصر، طوال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. فظهرت فرقة سليمان الحداد، ثم فرقة سليمان القرداحي، ثم فرقة أبي خليل القباني، ثم فرقة إسكندر فرح، ثم فرقة ميخائيل جرجس .. إلخ.

ولو تتبعنا تاريخ هذه الفرق، وما أنتجته من فرق أخرى، سنجدنا نصل بالتاريخ إلى الفرق المسرحية الموجودة في مصر الآن!! وهذا يعني أن سليم النقاش، هو الرائد الحقيقي للمسرح العربي في مصر؛ سواء بالسبق أو بالتأثير والتأثر!! فمن ناحية السبق، لم نجد مشروعاً مكتملاً ناجحاً لإنشاء المسرح العربي في مصر – وفقاً لتخطيط الحكومة المصرية – غير مشروعه!! ومن ناحية التأثير والتأثر، فالتاريخ أثبت كيف أثر سليم النقاش بفرقته المسرحية في مصر، وكيف تأثرت مصر به وبأعماله، حيث توالت الفرق المسرحية، التي خرجت من فرقته، أو التي ظهرت بتأثير من فرقته!! وريادة سليم خليل النقاش للمسرح العربي في مصر؛ ذكرها المعاصرون لها، وذكرها من جاءوا بعدها، وذكرها من سمعوا بها من معاصريها، دون أن يذكروا رائداً أخر للمسرح العربي في مصر غير سليم خليل النقاش!! والأمثلة على ذلك كثيرة، وهذه بعضها:

قالت مجلة الفرايد عام 1894: " أول من أدخل التشخيص فى مصر الشوام" [59]. وفي عام 1895 قال الكاتب المسرحي محمود واصف: "... إن فن التشخيص بلغتنا العربية لم يدخل إلى بلادنا المصرية إلا منذ عهد قريب على يد طيب الذكر سليم أفندي النقاش" [60]. وفي عام 1896، قال جرجي زيدان: " لم يدخل فن التمثيل العربي إلى هذه الديار، إلا في أواخر حكم المغفور له الخديو إسماعيل باشا، وأول من مثل رواية تشخيصية فيها المرحومان أديب إسحاق وسليم نقاش" [61]. وفى عام 1912، جاء في جريدة الأخبار: "... هيهات أن ننسى الأديبين الكبيرين المرحومين سليم النقاش وأديب إسحاق، اللذين أخرجا فن التمثيل إلى عالم الوجود في مصر" [62]. وفي عام 1917، قال جورج طنوس: "... ظهر التمثيل العربي في هذه الديار، وكانت نشأته الأولى في الإسكندرية على أيدي الأديبين الشهيرين إسحق والنقاش" [63]. وفي عام 1919، قال محمد تيمور: "... أتانا التمثيل من إيطاليا عن طريق سوريا. وأول من جاءنا به قوم من فضلاء السوريين، أمثال: النقاش، وأديب إسحاق، والخياط، والقباني .... وأنشئوا بأيديهم فن التمثيل في مصر، بعد أن كنا لا نعلم من أمره شيئاً كبيراً. هذه هي نتيجة مسعاهم، ونحن مدينون لهم بهذه النتيجة" [64]. وفي عام 1921، قال خليل مطران: "المرحوم سليم النقاش أول من أنشأ فرقة للتمثيل بمصر باتفاق بينه وبين الحكومة" [65].

هوامش

(1) – والجدير بالذكر إن مسرح روسيني، تم افتتاحه في الإسكندرية أيضاً، مع افتتاح مسرح زيزينيا. للمزيد، ينظر: جريدة (La Comédie) الفرنسية – 1، و7 يناير 1865

(2) – يجب الإشارة هنا إلى أن حكمي هذا خاص بفترة حكم الخديوي إسماعيل؛ لأن هناك كتابات عربية حول المسرح منشورة قبل عهد الخديو إسماعيل، مثل ترجمة رفاعة الطهطاوي لكتاب "ديوان قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر" للمؤلف الفرنسي "ديبنج Depping"، والذي به صفحات كثيرة حول تاريخ المسرح في أوروبا، وهذا الكتاب منشور في مصر بالعربية منذ عام 1833. وكذلك ما كتبه الطهطاوي أيضاً باللغة العربية حول مشاهداته للمسرح الفرنسي في كتابه الشهير "الديوان النفيس بإيوان باريس"، المشهور باسم "تخليص الإبريز إلى تلخيص باريز"، والمنشور في مصر منذ عام 1834. وللمزيد عن تفاصيل هذه الكتابات، ينظر: كتابي "هيلانة الجميلة .. أول مسرحية منشورة بالعربية في مصر سنة 1868 .. أثر أدبي مجهول للشيخ رفاعة الطهطاوي"، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2015.

(3) – للمزيد عن تفاصيل هذه الأماكن وتاريخها، ينظر: كتابي "تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر" في طبعاته الثلاث: مكتبة زهراء الشرق 1997، والهيئة المصرية العامة للكتاب 1997، ومكتبة الأسرة 2005. وكتابي "تاريخ المسرح في العالم العربي في القرن التاسع عشر" في طبعتيه: مؤسسة المرجاح للنشر والتوزيع – الكويت 1999، ومؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2016.

(4) – جمال عبد الرحيم – إسماعيل صديق المفتش .. رجل الأزمات .. ضحية الوشاية – دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة – 2004 – ص(85).

(5) – مجلة (وادي النيل) – السنة الثالثة – عدد 32 – الجمعة 1869/12/3 – غرة رمضان 1286 – غلاف أخير.

(6) – محمد أنسي – ملعب الأوبيره بمصر القاهرة – مجلة (وادي النيل) – السنة الثالثة – عدد 55 – 1870/2/28 – 27 ذى القعدة 1286 هـ

(7) – مجلة (وادي النيل) – السنة الثالثة – عدد 56 – 1870/3/4 – الجمعة 2 ذي الحجة 1286 هـ

(8) – مجلة (وادي النيل) – السابق

(9) – مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد 5 – 17 محرم 1287 هـ – الموافق 1870/4/18

(10) – راجع: مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد 59 – الجمعة 24 شعبان 1287 هـ – الموافق 1870/11/18، وعدد 64 – 1870/12/5 – الموافق 12 رمضان سنة 1287 هـ

(11) – مجلة (وادي النيل) – السابق

(12) – مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد 73 – 1871/1/13 – الموافق الجمعة 21 شوال سنة 1287 هـ

(13) – دار الوثائق القومية – دفاتر المعية السنية – دفتر س41/1/1

(14) – هذا النص اكتشفته وحققته ونشرته مؤخراً في كتاب عام 2015، للمزيد، ينظر: كتابي "هيلانة الجميلة"، السابق

(15) – إعلانات هذه المكتبة، منشورة في نهاية أغلب الدوريات المنشورة باللغة العربية في مصر ولبنان. وأقدم إعلان وجدناه، كان في جريدة "الوقائع المصرية"، عدد 292 بتاريخ 1869/5/6

(16) – راجع مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد 58 – 1870/11/14 – الموافق20 شعبان سنة1287 هـ – ص(2–4)

(17) – ينظر: مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد71 – الجمعة 14 شوال 1287 – الموافق 1871/1/6

(18) – ينظر: مجلة روضة المدارس المصرية – السنة الثانية – عدد 3 – 1871/5/5، وعدد 5 – 1871/6/6، وعدد 7 – 1871/7/6. وللمزيد عن هذا الأمر، ينظر: كتابي "تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر" – السابق – الفصل الثالث "ريادة مسرحية مجهولة لمحمد عثمان جلال" – ص(97 – 121)

(19) – مجلة (وادي النيل) – السنة الرابعة – عدد71 – الجمعة 14 شوال 1287 – الموافق 1871/1/6

(20) – مجلة (وادي النيل) – السابق

(21) – ينظر: جاك تاجر – حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر – دار المعارف بمصر – 1946 – ص(101، 102)

(22) – جريدة (الجوائب) – السنة الحادية عشرة – عدد 513 – 1871/4/12

(23) – هذا الأمر، ربما يوضح لنا لماذا اهتم مأمور الضبطية بإرسال المسرحيتين المترجمتين إلى أبي السعود أفندي، مطالباً إياه الكتابة عنهما في مجلته "وادي النيل"، كما تحدثنا سابقاً.

(24) – هذا التقرير، محفوظ في دار الوثائق القومية: أسرة محمد علي، كود أرشيفي 003022- 5013. وقد اكتشفته الباحثة إيمان محمد عبد الله النمر، ونشرته في ملحق رسالتها للماجستير "تاريخ المسرح المصري وأثره على المجتمع 1869 – 1920"، تحت إشراف الدكتور فوزي المصري. والرسالة أجيزت عام 2012، في قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة طنطا.

(25) – مجلة (الجنان) – الجزء الخامس – بيروت – 1871/3/1 – ص(149، 150)

(26) – جريدة (الجوائب) – السنة الحادية عشرة – عدد 512 – 1871/4/5

(27) – جريدة (الجوائب) – السنة الحادية عشرة – عدد 519 – 1871/5/10

(28) – جريدة (الجوائب) – السابق

(29) – جريدة (الجوائب) – عدد 578 – 1872/3/27

(30) – جريدة (الجوائب) – عدد 535 – 1871/8/16

(31) – ينظر: فيليب سادجروف – المسرح المصري في القرن التاسع عشر – ترجمة د.أمين العيوطي، تقديم وتعليق د.سيد علي إسماعيل – سلسلة دراسات في المسرح المصري – عدد9 – المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، وزارة الثقافة المصرية، عام 2007 – ص (111، 163)

(32) – جريدة (الجوائب) – السنة الحادية عشرة – عدد 537 – 1871/8/27

(33) – راجع: نص هذا المشروع المنشور في الملحق الثالث من كتاب "المسرح المصري في القرن التاسع عشر"– السابق – ص (276 – 285)، وأصل الوثيقة محفوظ في دار الوثائق القومية: أسرة محمد علي، الكود الأرشيفي 003515 – 5013، مشروع مسرح قومي، القاهرة في 15 مارس 1872، وثيقة رقم 15، ص (1 – 11)

(34) – جريدة (الجوائب) – عدد 578 – 1872/3/27

(35) – جريدة (الجوائب) – السابق.

(36) – فقد نشرت جريدة "الوقائع المصرية" يوم 1872/5/7، الآتي: صورة إعلان وارد: قد ارتقت الأيام في التمدن في زمن سعادة الخديوي المعظم، حتى بلغت ما لا يبلغه غيرها من الأمم السابقة. ومن جملة التمدن وجود التياترات، خصوصاً التياترو العربي الجاري مجراه في حديقة الأزبكية. ولما كانت جميع الناس مجدين في تحصيل التمدن، شرعنا في طبع لعبة، ونشرها على جميع المحبين للوطن، لزيادة التمدن. ويكون أخذ النسخ من محل محمد أفندي عبد الفتاح الكائن بالموسكي بحارة الأفرنك بجوار الخواجة كمواره التاجر. وثمن النسخة الواحدة فرنك واحد. واللعبة الذي صار طبعها حينئذ تسمى ليلة. وأن الحضور لآخذ النسخة ابتداء من الساعة واحدة لغاية الساعة 5 من النهار".

(37) – محمد عبد الفتاح – نزهة الأدب في شجاعة العرب المبهجة للأعين الزكية في حديقة الأزبكية – المطبعة التليانية – غرة صفر 1289. وقد أعاد نشرها الدكتور محمد يوسف نجم في دار صادر ببيروت عام 2002.

(38) – جريدة (الجوائب) – عدد 580 – 1872/4/11

(39) – دار الوثائق القومية: أسرة محمد علي، كود أرشيفي 003515 – 5013، إدارة التياترات الخديوية، خطاب رقم 1656، القاهرة، في 20 أبريل 1872، نقلاً عن ملحق رسالة ماجستير الباحثة إيمان محمد عبد الله النمر السابق الإشارة إليها.

(40) – جريدة (الجوائب) – عدد 581 – 1872/4/17

(41) – جريدة (الجوائب) – عدد 587 – 1872/5/29

(42) – جريدة (الجوائب) – عدد 597 – 1872/8/7

(43) – هذا الخبران المنقولان من جريدة (الجوائب)، أرسل لي عددهما – مع بقية أعداد الجوائب المستخدمة في هذا البحث – المؤرخ الصديق "تيسير خلف" من سورية في ديسمبر 2017، فله مني جزيل الشكر؛ حيث إن هذين العددين غير موجودين ضمن دوريات دار الكتب المصرية.

(44) – سيلاحظ القارئ هنا، أنني لم أذكر أي شيء نشره يعقوب صنوع في مذكراته وصحفه، حول مسرحه في مصر، أو حول ريادته للمسرح العربي في مصر! لأن من أهداف دراستي هذه، الوقوف على حقيقة نشاط صنوع المسرحي في مصر، كما جاءت في الوثائق والدوريات، دون الاعتماد على مذكرات صنوع وصحفه! وذلك من أجل معرفة الحقيقة المجهولة لنشاط صنوع المسرحي في مصر. لذلك سأقوم مستقبلاً بكتابة دراسة مستقلة، أخصصها للحديث عن مسرح صنوع وريادته – كما ذكرها في كتاباته – ومقارنتها بالاكتشافات الجديدة في هذا البحث؛ كونه إنجليزياً، وأعماله ارتجالية كوميدية باللغة العامية، واحتمال تكوين فرقته من شباب الجاليات الأجنبية؛ لأن هذه الاكتشافات تُجيب على أسئلة كثيرة؛ طرحتها في كتابي "محاكمة مسرح يعقوب صنوع"، المنشور عام 2001، والذي أفكر جدياً في نشر طبعة أخرى – بعد نفاذ طبعته الأولى – أضمنها كل جديد مكتشف حول صنوع ومسرحه!!

(45) – سليم خليل النقاش: عائدة، تراجيدية ذات خمسة فصول، تأليف سليم خليل نقاش، في 25 نيسان سنة 1875، طبعة أولى، حقوق الطبع والتشخيص محفوظة للمؤلف، طبعت في بيروت في المطبعة السورية سنة 1875.

(46) – ينظر: الوثيقة المنشورة في الملحق الخامس في رسالة الماجستير الخاصة بالباحثة إيمان النمر السابق ذكرها

(47) – مجلة (الجنان) – الجزء الثالث عشر – يولية 1875 – ص(442 – 444)

(48) – السابق.

(49) – مجلة (الجنان) اللبنانية – الجزء الخامس عشر – أغسطس 1875 – ص(516 – 519)

(50) – مجلة (الجنان) – السابق

(51) – مجلة (الجنان) – السابق

(52) – مجلة (الجنان) – السابق

(53) – مجلة (الجنان) اللبنانية – الجزء العشرون – 1875/10/15 – ص(694 – 696)

(54) – مجلة (الجنان) – السابق

(55) – مجلة (الجنان) – السابق

(56) – ينظر: جريدة (الجوائب) – عدد 841 – 1877/2/1، وعدد 843 – 1877/2/15، وجريدة (الوقائع المصرية) – عدد 696 – 1877/2/11

(57) – جريدة (الجوائب) – عدد 846 – 1877/3/7

(58) – ينظر: جريدة (الأهرام) 1877/7/6، جريدة (الوقائع المصرية) – عدد 747 – 1878/2/10

(59) – مجلة (الفرايد) – عدد 7 – 1894/1/15 – ص(100،101)

(60) – محمود واصف – مسرحية عجائب الأقدار – مطبعة عبد الغني شهاب الكتبي بشارع الحلوجي بالأزهر بمصر – 1895 – المقدمة

(61) – مجلة (الهلال) – باب السؤال والاقتراح – 1896/12/1 – ص(260)

(62) – جريدة (الأخبار) – 1912/1/4

(63) – جورج طنوس – الشيخ سلامة حجازي وما قيل في تأبينه – مكتبة المؤيد سنة 1917 – ص(5، 6)

(64) – محمد تيمور – التمثيل في مصر – جريدة (السفور) – السنة الرابعة سنة 1919/1918. وهذه المقالة، نُشرت أيضاً في كتابه: حياتنا التمثيلية – الجزء الثاني – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1973 – ص(81)

(65) – خليل مطران – التمثيل العربى ونهضته الجديدة – مجلة (الهلال) – السنة 29 – عدد 5 – 1921/2/1 – ص(470)

المصادر والمراجع:

1 – إيمان محمد عبد الله النمر – تاريخ المسرح المصري وأثره على المجتمع 1869 – 1920، رسالة ماجستير أجيزت عام 2012 – قسم التاريخ، كلية الآداب جامعة طنطا.

2 – جاك تاجر – حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر – دار المعارف بمصر – 1946

3 – جمال عبد الرحيم – إسماعيل صديق المفتش .. رجل الأزمات .. ضحية الوشاية – دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير – القاهرة – 2004

4 – جورج طنوس – الشيخ سلامة حجازي وما قيل في تأبينه – مكتبة المؤيد سنة 1917

5 – سليم خليل النقاش: عائدة، تراجيدية ذات خمسة فصول، تأليف سليم خليل نقاش، في 25 نيسان سنة 1875، طبعة أولى، حقوق الطبع والتشخيص محفوظة للمؤلف، طبعت في بيروت في المطبعة السورية سنة 1875.

6 – سيد علي إسماعيل – تاريخ المسرح في مصر في القرن التاسع عشر – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1997

7 – سيد علي إسماعيل – هيلانة الجميلة .. أول مسرحية منشورة بالعربية في مصر سنة 1868 .. أثر أدبي مجهول للشيخ رفاعة الطهطاوي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 2015

8 – فيليب سادجروف – المسرح المصري في القرن التاسع عشر – ترجمة د.أمين العيوطي، تقديم وتعليق د.سيد علي إسماعيل – سلسلة دراسات في المسرح المصري – عدد9 – المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، وزارة الثقافة المصرية، عام 2007

9 – محمد عبد الفتاح – نزهة الأدب في شجاعة العرب المبهجة للأعين الزكية في حديقة الأزبكية – المطبعة التليانية – غرة صفر 1289

10 – محمود واصف – مسرحية عجائب الأقدار – مطبعة عبد الغني شهاب الكتبي بشارع الحلوجي بالأزهر بمصر – 1895

الوثائق

دار الوثائق القومية – دفاتر المعية السنية – دفتر س41/1/1

الصحف الأجنبية

جريدة (La Comédie) الفرنسية – 1، و7 يناير 1865

الصحف العربية

أعداد متفرقة ومتنوعة التواريخ من دوريات: الأخبار، الجنان، الجوائب، روضة المدارس المصرية، السفور، الفرايد، الهلال، وادي النيل، الوقائع المصرية.